نورالدين حنيف أبوشامة

طُقوسُ الطّواسِين

إضمامةٌ في قصيدةِ النّثر

نورالدين حنيف أبوشامة

طقوسُ الطّواسِين

إضمامةٌ في قصيدةِ النّثر

- **الكتاب: طقوس الطواسين**
- **النوع الأدبي: قصيدة النثر**
- **الإصدار: إلكتروني**
- **المؤلّف: نورالدين حنيف أبوشامة**
- **من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب**
- **عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم**
- **خبير وطني في رياضة الأيكيدو**
- **مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي**
- **باحث في التربية و الفكر و الأدب**
- **لوحـةُ الغـلاف مـن إنجـازي (حبـر جـاف أزرق علـى ورق، بعنوان: عزفٌ مازوشيّ)**

Abouchama24hanif@gmail.com

إهداء:

***

إلى امرأتِي الّتي تسكنُ الأزل

إلى (سين) و قد أحْيَتْ فيّ كلّ الأمل

***

تقديم:

نظـمُ الشـعرِ لـيسَ بـالأمر الهـيّن، لا في مجـال القصـيدة الخليليـة و لا في مجـالِ القصـيدة الحـرة، و لا في مجـالِ قصـيدة النّثـر، و لا في أي نـوعٍ شـعريّ آخـر... و الأمـر يكـاد يكـونُ أو هـو يكـونُ حالـةَ مخـاضٍ عسـير الانبثـاق، و عزيـزِ الانكشـاف، و غـابرِ التجلّـي، و لـو بـدا لبعضـنا ممّـن يَسِـمون ذواتهـم بالشـعراء أن القـريضَ ممكـنٌ مـادامَ مُتعَيِّنـاً فـي جسـد اللغـة، و بالتّـالي فـأيّ تحكـمٍ فـي ناصـيتِها هـو بالتـداعي و الاسـتتباع تحكّـمٌ في نواصـي الشـعر. و هـذا لعمْـرِي هـو الـوهمُ في التصـوّر و العطـبُ في الرؤيا.

و هنـا أتـذكّرُ الشـاعرَ القـديم "الفـرزدق" الّـذي يـؤثَرُ عنـه قـولٌ في الشـعر، كـادَ يسـير مسـار المثـل السّـائر، أو قـدْ سـار... فلهجَـتْ بـه الألسِـنة في غـابر الزمـان و في راهِنِـه الآن... قـال: (تمـرُّ علـيّ السـاعة وقلـع ضِـرس مـن أضراسـي أهـون علـيّ مـن عملِ بيـت مـن الشـعر) مُـدرِكاً في وقـتٍ مبكّـرٍ أن المشـقّة في قـرْضِ الشـعر عنـوانٌ

كبيـرٌفي تجربـة القـول العـالي في منسـوب الشـعرية، بغـضِّ النظـرِ عـن القوالـب الفنيـة التـي تحتضـنُ هـذا الشعر و هذا الإبداع.

أقـول هـذا في سـياقٍ خـاصّ، لأنّنـي و أنـا أُعـايِنُ قصـائدي في هـذه الإضـمامة، وجـدْتُها تنتمـي لعقـديْنِ مـن الـزمن، نظَمْتُهـا في فتـرةِ تراوحـتْ بـيْن عقـدين ، مـن عـام 2000 إلـى عـام 2020، و بعضُـها انتمـى إلـى هـذا العـام و مـا قبلـه، و هـي قليلـةٌ بالمقارنـةِ مـع سـابقاتها في التـأريخ. وفـي هـذا المسـاق كانـت القصـائد تـرفضُ التجلـي والكشـف عـن سـيقانِها الفاتنـة علـى صـفيح صـروحِ الانزياحـاتِ الممـرّدة مـن قـوارير. و بعضـها كـان يـأتي كالرؤيـا و الأحـلام، و بعضـها كـان ينسـابُ انسـياباً كأنهـا الـزلالُ في يـومٍ قـائظ، و أغلبُهـا – كمـا أسـلفْنا – كـانَ عذاباً استوعبَه "الفرزدق" أيّما استيعاب.

الشّـعْرُ في منظـوري المتواضـعِ محـرابٌ خـاصّ، لا يـأتِي إلا بمكابـدة طويلـة لحصـول الخشـوع في حضـرةِ الخيـالِ المجـنّح الـذي لا يشـبه واقعنـا و في نفـسِ الآن لا يتنكـر لواقِعنـا. مـن هنـا قـوّةُ نظـمِ الشـعر و فرادتُـه و جبروتـه إن شئْنا قولاً مُنصِفا.

الطقس الأول

زهْرٌ وَثَنِيّ

...

أطِـلّ مـنْ قلبـي عَلـى طقْـسٍ وحْشِـيّ. رُوحٌ تُراقِصُـها الْبحيْـراتُ في عُزْلَـة الأسْـماكِ و الْمحـارات. قلْبُهـا كـانَ أيْقونَـةً لِظِـلِّ الْمـاء، و لِنـداءِ الْغَيْمـات. لـمْ تكـنْ لَهـا أجْنِحـةٌ وكانتْ لها كلُّ السّماوات...

علّقِـي أحْلامَـكِ الْخُرافِيّـة عَلـى قلْبـي الْمُوحّـد. علِّمـي زَهْراتِـكِ الْوثنِيّـة أنّ أجْمـلَ الصّـلوات هـيَ مَحـارِيبِي الْمُخَضّـبَة بِـدُموعِ الْوقْفـات... و أنّ قِبْلَـةَ الْحـبّ هِـيَ أخْلَصُ الْقبْلات.

توضّـئي بِالصّـبْحِ النّـديّ، يُرتِّـل عَلـى شَـفَتَيْكِ عَناقِيـدَ اللّيْـلِ الْجَسُـور، يَقْضِـمُ حبّـاتِ النّبيـذ فـي أسْـرارِ الْوجْنـات. فَكـلُّ الْقَصـائِدِ خـارِجَ عَيْنَيْـكِ كـافِرَةٌ و مارِقَـةٌ عَنْ زنابِقِ الْمِلّات.

...

الطقس الثاني

طَواسِين

...

قالَـتْ لِـي ذاتَ همْـس: ضَـعْ أزْهـارَكَ في سُـلّتَيْن، سُـلّةٌ للشّمْس، و أخْرَى سَيَطالُها بعْدَ حِينٍ رَنينُ الرّمْس.

قلـتُ : مـا هـذا الْفـألُ؟ وَ هـلْ تقْـرَئِينَ كِتـابِي فِي أزْمِنَـة الْاِنْبِثاقِ أمْ هُوَ طَيفٌ منَ الْمَسّ ؟

قالَـتْ : مـنْ يعْشَـقِ الْفراشَـةَ فِي دِيـنِ الْيَاسَـمِين لا يأْبَـهُ لِشَـكْلِ الْمـوت... أيمـوتُ علـى مـتْنِ الْعَسَـلِ أمْ ينْتَهِـي على ذَبْحِ الرّقْص.

قلـتُ: فهـلْ مِـنْ خيـارٍ يزْفَعنِـي في صَـبِيبِ الْحُلـم ؟ يمْـنحُ جسَــدِي وجــودَيْن، واحِــدٌ لِـي و آخَــرُ لَــكِ... فِـي شُــرُودِ الْعرْس؟

قالَــتْ : ضُــمَّ طــاءَ طِيبَتِــكَ إلـى سِــين سُــؤالِك، تَجِــد صِفَتك. تُلْغِي فِي رَوْعِكَ حالَةَ اللّبْس.

قُلــتُ : هِــيَ ذِي قصّــةُ الطّواسِــين. صــاغَها الْواصِــلُ قَــبْلاً بِدَمِ الشّهادَةِ قَدِيماً بالأمْس.

...

الطقس الثالث

طعْمُ امْرأة

...

هِـــيَ ذِي الْأرضُ واضِـــحَةُ الْعـــراء... صَـــمْتِي لِباسُـــها وَشِـــعْرِي بَأسُـــها، و حبّـــي الْمُضَـــرّجُ فـي الْانْتِحـابِ هُـو يَأسُها .

أضـمُّ يـدِي إلى أضـلُعِها، ينْكسِـرُ في رَوْعِـي طعْـمُ امْـرأةٍ لـيسَ لَهـا صـباح... و لهـا اللّيْـلُ كـائِنٌ مُـراوغ، يُحـوّلُ الْعطَـشَ فِي الْتِمـاعِ الْمِيـاه رَقْصـاً بـاذِخَ التّأويـل، عَبْقَـرِيَّ الـدّم، صَـرِيع الْألَـم. يكِتُبُنـي سـلِيلَ الْفَـوْتِ والنّـدم. ثـمّ يُرَشّحُني أهْلاً لِقَضْمِ تُفّاحِ الْحبّ الْعصِيّ.

فيـا أنَـا... مُـذْ كنـتُ أنَـا. و يَـا أنـا حيـث انتهَـتْ سِـدرةُ المنْتَهـي و الْمُنـى. هـل لِـي بِظـلٍّ أُورِفُ فيـه شـكْلِيَ

الظّــامئ، أوقِــدُ فيــهِ فِكــرَة الاِحْتِمــالِ، و أفْــتحُ علــى مِصْراعيْنِ شَدِيديْنِ شبَقَ الشّمْسِ لِسيّدِها الْقَمر.

و هــلْ أزوِّجُ الْــوزْدَة لإلــهِ الْجمــالِ و الْجــلالِ ؟! و أقــولُ لِلْأُقْحوان : هيّا تبَخَّرْ.

أكـادُ أجِـدُ بعْـضَ الصّـباح فِي كفّـيَ الْمُجَعّـدَة، و قَلِـيلاً مِـنَ الْغِوايَـةِ الْمُدلّهـة، تُصَـفّي الْمـاء في مَصـافِي أغَـانِي النَّهـر، وتأمُرني ناصحةً بليغةً أن أسكن في أجنحة الرياح...

...

الطقس الرابع
تشْكِيل

...

هَا أنَا أمضِي فِي عُمْقِ لَوحاتِي، أشَكِّلُني مرّةً لحْنَ وصْل و مـرّةً صُـوفِياً يُصـلّي واقِفـاً علـى مَهْـل. و مـرّاتٍ دوائِـرَ تـتكلّمُ بـالْجُرْحِ و نِكايَـةِ النّصْـل. و مـرّاتٍ أخْـرى تُرسـلُني الْألْــوانُ و الْأصْــباغُ و الْأضــواءُ و الظّــلالُ و الْمســاحاتُ والْأبْعادُ في سِفر المتاه.

أدْرِكُ عِنْــدَها نــارَ الْأبدِيّــة فـي جَفــافِ الْحِبْــر وفـي كــلامِ الْأزرَقِ الْمـاكِر... أطيـرُ في الْبَيَـاض و أطْـرُدُ الْجـراحَ وحمْـرةً صاخِبة.

أدسُّ فـي صــمتِ الْــورق كــلّ الأسْــهُمِ الْمرْشُــوقَة فِـي صَــدْرِيَ الْغــادِر. أعْجِــنُ الْقُمــاش بصــرْخَةِ الْخشَــب،

وأُصَـوِّبُ الرّيشَـةَ فِي قلْـبِ قَلْبِـكِ اللّهِـب... أشْـهِدُ الْقَمَـرَ أنّـك أنْـتِ وحْـدَك مـنْ أسْـكتَ و أنْطَـقَ هـذا الْيَـراعَ في قَوافِي الشّغَب.

...

الطقس الخامس

دَثِّرِينِي

...

عَــارٍ أنَــا منِّــي ومِــنْ طِينِــي، فَــدَثِّرِينِي أيّتُهــا الْوارِفَــةُ والْواقِفَةُ على دَمِي... دَثِّرِينِي...

تَـرْقُبِينَ انْسِـلالَ الضّـوْء فِي رُوحِـي الْعَطْشَـى. تحْدِسِـينَ انْثِيالَ الصّهِيل في هَذِي الشّرايِين.

عـارٍ أنـا مـن ذاكِرَتِي. و مِـنْ تَـارِيخِي الْمُهَـذّبِ و الْمـائِع. عـارٍ مـنْ قَوامِيسِـي الطّاعِنَـةِ فِي صَـوْتِ الْقَصَـبِ اللّامِـعِ بِشَدْوِ الشّياطِينِ.

دَثّرِينِـي حتّـى أتمَكّـنَ فِي انْسِـدادِ النّـورِ مـنَ الْقَـبْضِ عَلى شــكْلِ الْمــاءِ فـي جســدِ امــرأةٍ عَارِيَــة، تلْــبَسُ أحْلَــى الْفَساتِين.

غَطّينِــي مــن أقْصَــى الْعــيْنِ إلــى أقْصــى الْعــيْن... واحْفظِينِــي بنَجْمَــةِ السّــماء أنْ تَقْرَأنِي فَرْقَــدةٌ عــابِرةٌ في الــرّيحِ مســافةً عرْجــاءَ أو غَيْمــاً جائِعــاً في حُقــولِ الْقَمَــرِ الْحزينِ.

هَـا رمـادُ الْحَجـر يَسْـتَبِيحُ جِهـاتِي. و هَـا رذاذُ الْمَطَـرِ يمْـنحُ جســدي الْمَعْقُــوفَ أوْسِــمَةَ الاِحْتِمــال. و فـي فلْسَــفَةِ الاِنْتِظار ألْمعَ النّياشِينِ.

أيَــا سَــيّدة الْغُمُــوض... هَــا كَفِّــي حلِيــبٌ وَدود. أمُــدّها بَعْـضَ حَفْنـاتٍ مـنْ مَزامِيـرَ سَـابِحاتٍ فِي أنْشُـودة الْوقْـتِ الْمكِينِ.

عَسـانِي أَلْقَـى فِي يَـدِ الشّـمْسِ لُغَتِـي الْمُسـافِرَة و بَعْـضَ الْعِنــاقِ لِاسْــتعارات الشّــعاعِ فِـي اسْتِرْسـالِ النّــدَى وأعْراسِ الْيَاسَمِينِ.

أيَـا أنَـا في احْتمـالِ الْمـوت. كُـنْ في لَحْنِهـا قَـدَراً و لا تـكُ عبُوراً في قِصّة الرّجوعِ لآخِرِ السّلاطِين.

...

الطقس السادس

عُزْلةُ الْغَيْم

...

لا عُزلـةَ لِلغـيم حِـينَ تكـونُ شِـتاءُ الْقلـبِ مَطـراً يُجامِـلُ أرْضَ الْغِوايَــة... فَهيّــا يــا سَــماءُ! أشْــرِعِي لِلْقَصــيدةِ نَوافِــذَ الْعِشْــق فِـي أبْــوابِ الْحِكايَــة... و ضُــمِّي رِيــشَ أجْنِحَتــي إلى مَجـازِكِ الْقـوِيِّ كـيْ أطيـرَ عاليـاً فِي كِتـابِ الْوِصَـايَة... مُـدِّينِي بِفلْسَـفَةِ الرّسُـلِ دَرْسـاً دَرْسـاً... و احِـدٌ لِصـاحِبِ الـدّارِ و ثـانٍ لامْتِـدادِ الِغـارِ فِي تراتِيـلِ الْهِدايَـة... هَــا قَلْبِــي صُــورة... وَرْدةٌ لِصــلاةٍ مُســافِرَة تبْتَهِــلُ اللّهَ مَحبّـةً فِي انْكِسـارِ النِّهايـات وَ فِي جبْـرِ الْبِدايَـة... يـا حبّـذا أرْقَى إلـى جَسَــدي حِــينَ جسَــدِي يُخاصِــمُني في لونِــهِ الْأحْمَر... أشِطُّ بِهِ بَعيداً عندَ سِدْرَةِ النّهايَة...

أُشْـرِبُهُ يَبـاسَ الـدّراوِيش، أرَقِّـصُ قَدَميْـهِ علـى نَغمـاتِ الطّرابِيش فِي فتْلِ السّجايَا...

حتّــى أفْتِــكَ بِــالْعَطَش يَمْشِــي فـي نسْــغِهِ الْجــاهِلِيّ، وحتّــى يسْــتَقِيمَ لِـي خَطْــوُ الظّمــأ، فِـي مَقــامِي و فِـي ممْشايَ...

وَ يـا حبّـذا هَـذِي الْحيـاةُ، عِطْـرٌ دائِـمٌ يَعْشَـقُ رَذاذَ الـرّوح، يُحــوّلُ رَشْــحِيَ الــدّنْيَوِي إلـى ضَــوْعٍ بِقِيثــارَة، لا يَتَشَــمّمُ ألحانَها في الْأنامِ سِوايَ.

...

الطقس السابع
خُطْوتانِ شَارِدَتان

...

و أنــتِ تَعْقِــيلِنَ الطّــين فِي تكْــوِينِي، لا تنْسَــيْ أن تقْرِئِي هــذا الْجسَــدَ الْوحْشِــيّ فِي سِــفْرِ التّــأبِين. لا تَنْسَــيْ أنْ تَمُجِّي ظِلّك فِي ظِلِّهِ الْمُسْتَكين.

عُــدِّي فِي أضْــلُعِي: كــمْ غُصْــناً ناشِــفاً يُعــاكِسُ حبّــاتِ الرّمّــانِ فِــي وجنتيْــكِ، و يُحاصِــرُ صَــلَفَ التّفــاح رَغْبَــةً صَلْصالِيةً تنْحلُّ في الثّرَى الدّفِين.
كــمْ صــاغَنِي عقْلُــكِ حقْــلاً يبُوســهُ الــرَذَاذُ و قَمــراً يهابُــهُ الْمِــدادُ، و مَوْجــاً خَاصَــمَ الْبَحْــرَ قبْــلَ أنْ يسْــقُطَ الْمِيعــادُ فِي رمْلٍ لا يَشْهَدُ الْعُبُورَ إلا فِي خُطْوتيْنِ شارِدَتيْنِ:

واحِـدةٌ لـكِ تتْبَعُهـا الظِّبـاءُ... و ثانِيـةٌ لِي يمحُوهـا الْمسـاءُ.
و فِي آخِـرِ الْحِكايَـاتِ تعِـيشُ الظّبْيـةُ مثْـلَ قَافِيـةٍ تـدُسُّ في جيْبِهـا الْواسِـعِ ظـلالَ صفْصـافَةٍ وَافِيـة، فِيمـا أسْـكنُ أنـا داخِـلَ جُرْحِـيَ الْغـائِر، أتهَجّـى في صَـمْتِهِ تعْوِيـذةَ آمِـين، ثمّ أستكين...
هَـا لَمـاكِ أيّتُهـا النّـادِرَةُ يَهْجـسُ لِـي بِـأنّ الشّـفَتَيْن فِـي عُـرْفِ الشّـعراءِ لُؤلُتـان، و الْعِقْـدَ بَـرَدٌ مـنْ زَواجِ الْأسْـنان.
و أنّ الثّغْـرَ لمّـا ينْسَـدّ ينْفَـتِحُ فِي رَوْعِـي ألـفُ بـابٍ لِفِتْنَـةِ الشّرايين.
فَهـلْ تَرانِي عَيْنُـكِ الْبِلّوْرِيّـةُ بَحْـراً مـنْ جُنـونٍ؟ أمْ مَرَايـا صَـدِئة خانَتْهـا الْاِسْـتعارات وَرَمـتْ بِهـا الْمجـازَاتُ فِـي مَرْثِياتِ الزّمنِ الْحزين؟
يتهجّـانِي العطـرُ في جُيُوبِـكِ الْعبِقَـة حُرُوفـاً تَـرْقُصُ فِي نـونٍ تَهْمِـسُ و واوٍ تُـرْهِصُ بِـراءٍ نَزِقَـة... أُخْـرُجُ مـن جلـدي مثـلَ خَرِيطَـةٍ مِـنْ ياسَـمين، في صَـدْرِكِ الـرّنين... اسَّـمَّعُ نبْضـاتِهِ اللّبِقَـة. أعـيشُ في الْوهْلَـةِ الْقصِـيرَة ألْـفَ حِكايَـةٍ و رِوايَـة أكـون الْبطَـلَ فِيهـا و تَكُـونِين... آنـذاكَ أقـول للْموتِ آمين... آمين... آمين...
...

الطقس الثامن

إلى حيثُ هيَ تشاء

...

أرَى الْقَصِـيدَة خِضْـراً أهْيَـف. أعْصـرُ ثُمالَتَـه الْبَرِيئَـة فِي قبْضـةِ كفِّـي الجرِيئَـة، وَ أرَانِي سَـيّداً ضَـلِيلا أبْحـثُ فِي رُبـوعِ مَمْلَكتِـي عـنْ غـادَةٍ مـاردةٍ تُـتْقِنُ فـنّ الْإِنْشـاد، في أزمنةِ الغابرين....

فثُلّـةُ الشّـعراءِ الْقـابِعِين فِي جيْبِـي أغْـراهُمُ بَرِيـقُ الـدّينارِ حتّـى سَـقاهُمُ لوْثَـةَ الْـوهْم، وَسَـمَ صُـدورَهُمُ الْعارِيَـةَ مِـنَ الشّـعْرِ فِي قِيعـانِ الْبَـوار. أرْداهُـمْ في غـبنِ الظهـورِ وقضـى لهم صفاتِ المساكين...

فَلسْــتُ ذاكَ الْمُــراقِصَ لسَــيّدَةِ الضّــوءِ، أبْتَغِــي مــنْ عُودِهــا الْقَمَــرِي حَلِيبــاً أو عِنبــاً عَــذْبا. أو نَبِيــذاً يَشْــرَبُنِي نَخْبــاً لِعُــرْسِ الْقــامَتيْنِ، تَرْسُــمانِ فِــي رَقْصَــةِ الْمــاءِ إيقاعــاتِ الْغَجَــرِ الْقَتِيلَــة، تعيثــان بفمــي عيْــثَ الظّامِئين...

و لَسْــتُ أتــذَوّقُ عِطْــرَ الْخَلِيلَــةِ عُبُــوراً في سُــوقِ الْعُطــورِ وهْــيَ الْمُعطّــرَةُ باحْتِمــالِ الْجنّــة... لا يَقُــولُ الْعَبَــقُ فِيهــا وَهْــيَ الرّاسِــخَةُ فِي فَلْسَــفَةِ الْعِنــاقْ أنّ الــذّوقَ يُشْــتَرَى، وأنّ الْعَبِيــرَ مُمْكِــنٌ خــارِجَ الأُنْثَــى الصّــقِيلَة، إذا هــي كانتْ من الرّاسخين...

هَــا أنْــتِ يَــا سَــيّدَتِي، تُرْسِــلِينَ كَفَّــكِ الْحانِيــةَ عَلى كَتِفِــي الْمُزْهِــر... تَعْــزِفِينَ خَطْــوَكِ الْجمِيــل علــى شَــوارِعِ الشّــريان، و تَهُــزِّينَ رُوحِــي مَسَــافَةً مُختَلِجــةً عَــنِ الْــبَلاطِ حتّى أطِيرَ فِي شَعْرِكِ الْمُسْدَل رَذاذاً لا يَبِين.

و فِــي همْــسِ الْقَــدَمَيْنِ يَطِيــبُ لــهُ أنْ يسْــتَكِين... فَلــنْ أكونَ فِي تارِيخِ الْعِشْقِ آخِرَ السّالِكين.

ضُـمِّينِي أيّتُهـا الْإِسْـتِعارَةُ الْمُدجّجـةُ بِاحْتِمـالِ الْمَـدِيح إلى صَـدْرِكِ الْفارِسِـيّ الـرّنين... ضُـمِّينِي كـيْ أتبَخّـرَ فِي قلْـبِ النّرْجِسَـة و كَـيْ أثْبِـتَ للشّـفَقِ الْأخْضَـرِ أنّنـي أعْـدو مثْلَ فَراشَة فِي جَلِيلِ الْبَسَاتِين.

يَـا صـاحِبَةَ الْعيْنَـيْنِ النّجْمتـيْنِ! دَعِينِـي أغُـوصُ نبْعـاً إضـافِيّاً أو نُـوراً شَـهِيّاً يسـتيقظُ فِي الـرِّمْشِ، أو حَرِيـراً مخْمليّـاً إلى سُـوَيْداءِ الْقلْـبِ يمْشِـي... أوْ شُـعاعاً يحْمِـلُ فِي يُمْنـاهُ نَهْـراً و فِي يُسْـراهُ مَسـاءً ينْسَـلّ مـنْ أوْراقِ الْحِكايَـة... يرْفَـعُ الْبَنفْسَـجَةَ هَدِيـةً إلى الْهُـدْبِ الْكَحِيـل. لـنْ تَبْتَسِـمِي يـا سَـيّدَتِي بَعْـدَ الْيَـومِ خـارِجَ إذْنِي. فأنـا أغـارُ عَلى انْفِـلاقِ الْبَـرَدِ مـنْ أجْنِحَـةِ الْفراشـاتِ. لا تَكـونِي طِفْلَـة شَـقِيّةً حتّـى إذا فـاضَ قَلْبِـي زَكّيْـتُ ضَـحْكَتَك عنْـد السّماواتِ و كنتُ أنا أولَ الْهائِمِينَ.
فِي عُـرْسِ الْأسْـنانِ ألْـثُمُ الْبَرِيـقَ، شـاعِراً يَسْـتجْدِي عَطْـفَ الْقافِيـات. هـاتِ قُبْلَتَـك، يـا سَـيّدتِي كـيْ أرْشـفَ قَهْـوتِي الصّـباحِية فِي نخْـبِ الْفـرَح. أرِيـدُ أنْ أبْـدأ نهـاراتِي بِأجْمـلِ بَسْـملَةٍ تلْتَمِـعُ فِـي بَراءَتِهـا مقـولاتُ الْمَـرح، وحبّـاتُ

الْعوْسَــجِ الشّــرِيدة. أعْجِنُهــا خــارِجَ قَصْــعاتِ الْحُــزن، أشكّلُها خبْزَةً مُبارَكةً، تقْضِمُها أيادِي الصّالحين.

أرْسِــلي بِطاقاتِــكِ الرّيّانَــة إلــى أعــالِي السّــماء، تمْــتَحُ الْبيَــاضَ مــنْ اِسْــمِها و النّقــاء. أخْتــزلُ أنــا الباهِــت مــنْ تعْوِيــذاتِها جــوازَ سَــفَرِي إلى وَهــجِ الْبَقــاء، حيــثُ الْخلِيلَــة تشــدُّ أضْــلُعِي الْنّــافِرة... تَرْحَــلُ بِهــا إلى حيــثُ هِــيَ تشــاء وشاءَ نبْضُها الرّنين...

...

الطقس التاسع

هي الأجدر

...

أتوسَّـدُ الْمعْنَـى في جـلالِ الْحُضُـورِ لـدى أحْمَـرِ الْـنّغَمِ، وفي دَاجِـي السّـطورِ.. أرْدمُ رَبّـابَتِي فِي رَمْـلِ الصّـهِيلِ، ضـوْءاً ظامِئـاً، يُغَنِّـي رِحْلَتِـي الْخُرافِيّـة، علـى مَقامَـاتِ الْماءِ و الْكوثر.

تُغَيِّبُنِـي السّـماء فِي مُقَـلِ الْسّـحابِ... أُولَـدُ أغْنِيّـةً رَجْفانَـة، تنْتَشِـي بثَغْـرِ النّـار. تلْـثُمُ الشّـرَرَ النّهـائِيّ، ثـمّ تكْـنِسُ مـنْ قَلْبِهـا كـلَّ أوْتـارِ الْيَبـاب. و لا تُبْقِـي في أدغـالِ اللّحـونِ إلا الأقْمر.

هِــيَ ذِي وصْــلاتُ الــرّوحِ الرّمْلِيّــة تقُــولُ لِلْبَحْــرِ: اعْــزِفْ لَحْنَهــا الْواصِــل، ثــمّ اغْــرِفْ مــنْ خَفْقِهــا نبْضَــةً أو نبْضَــتيْن عَسَــى أنْ ينْبــتَ فِــي كفِّــي بعْــضٌ منْهــا: فراشَــةٌ أو فَراشَــتان... جنــاحٌ أخْضَــرُ، أو سِــفْرٌ مــنْ حــقّ الْأنْبِيــاء، سَــما لَها و بِها... فكانَتْ فِي عزْفِ النّساءِ هِيَ الْأجْدَرُ.

...

الطقس العاشر

ظِلالٌ متخَفّيّة

...

أرْسُـمُ دَمِـي فِي عُـرْسِ التّهْطـال جَنُوبـاً يقْـذِفُ حِجـارَة السّؤال...

و أُمَهِّــدُنِي انْسِــياباً فِـي حُمْــرَة الطّــين يهــزِئُ بشُــقْرَة الشّمال...

يقُــولُ لِلْقَمْــحِ مرْحبــا. وَ لِلنّــدوبِ و الْجُــرُوحِ و لِلثّقُــوبِ والشُّــرُوخِ. يَقُــولُ أيْضــاً: هَــا أنَــا لكــمْ مــوْطِنٌ عَــاهِرٌ، أفْــتَحُ صَــدْرِيَ الزّاحِــف، لِمَشْــيئاتِ الْغَمــامِ النّاشِــف، يَسْــتَبِيحُ كَمَنْجــاتِ الْمــاءِ، يَعْشَــقُ ضَــرْبَةَ حَــظٍّ، يَرْتَضِــي فُسْــحَةَ الْخيــال... و أصُــوغُنِي هَرَبــاً صَــرِيحاً مــنْ ملاجِــئِ الْفُتــاتِ، و منْ حَضِيضِ الْبُغاثِ إلى سَدِيمِ الشّتات.

أصْـــنعُ مـــنْ رِيشِـــي طاقِيَـــةَ اسْـــتِخْفاءٍ ألْبَسُـــها حِـــينَ السّماءُ تلْبَسُ حِدادَ الضّلال...

أخْتفِـي حِـينَ أحْفَـظُ رِئَتِـي عـنْ ظهْـرِ قلْـبٍ... هـلْ هَواؤُهـا أنَـا و هـلْ أنَـا هَواؤُهـا...؟ ثـمّ أكْـنسُ مـنْ طَرِيقِـي لُغَـة الشّبَهِ الْمَقِيتَة و أرْسُمُنِي ظِلّاً شَدِيدَ الظّلال...

...

الطقس الحادي عشر

حينَ تحبو اللغة

...

أعــرِفُ أنّ الْأَرْضَ لا تنْشَــقّ لِســوادِ الْعَــيْنِ الْحــوْراءِ.
وأعـرِفُ أنّ الْمـاءَ يَنْسـابُ فِي يَـدِ اللّهِ، قبْـلَ أنْ ينْسـابَ فِي مجَازِ الشّعراء...

...

لكِنّنِـي أعْـرِفُ أنّ اللُّغَـةَ حِـينَ تَحْبُـو فِي ألْسِـنَتِنا تُشْـعِلُ نارَ الْعَنْقاءِ.

...

و أعْـرِفُ أنّ الْمَـوْجَ ينْكَسِـرُ علـى قَـدمِ الرّمْـلِ لأنّ الْبحْـرَ قنّـاصٌ أمْهَـرُ مــنْ قِــرْشٍ جـائِعٍ. و أنّ صــنّارَتَهُ الْهَيْفـاءَ تلْـبَسُ طاقِيـةَ الْإِسْـتِخْفاء. و أنّ الْمَوْجَـةَ سُـلحْفاةٌ قَدِيمَـةٌ. ترْكَـبُ ظَهْـرَ الْغـيْمِ، و أنّ الْغَـيْمَ فاضِـحٌ سَـرِيرَتَها الْبَطِيئَـة،

حـــينَ تشْـــرَبُ قَهْـــوَةَ الصّـــباحِ علـــى نخْـــبِ الْملّاحِـــينَ التّعســـاء... أعْـــرِفُ أنّهـــا حَزِينَـــةٌ علـــى صِـــغارِها فِي تُـــرْبٍ مَجْهـــولٍ تُعطّـــلُ ذاكِـــرَةَ الْإنْجـــابِ، ثُـــمّ تهُـــزُّ لِلسّـــكارَى رِدْفَ قَوْقَعَتِها. تهربُ إلى عُمْقِ الصّمت منْ بَطْشِ الْماء.

...

لكِنّنِـــي أعْـــرِفُ أنّ اللُّغَـــةَ حِـــينَ تَحْبُـــو فِي ألْسِـــنَتِنا تُشْـــعِلُ نارَ الْعَنْقاء.

...

هَـــا أنَـــا الْآنَ ثَمِـــلٌ بِمُفْردَاتِـــي مِثْـــلَ رَذاذٍ عَـــلا رأْسَ الرّغْـــوَة، انْتَشَـــى فِي جُنُـــون. يَقْضِـــمُ مـــنْ خَـــدِّ الْمُزْنَـــةِ، و الْمُزْنَـــةُ لا تَـــدْرِي بِـــأيِّ أرْضٍ تَكـــون... و كـــلُّ هَمِّهـــا أنْ تسْـــرِقَ مـــنْ سَـــمْت السّـــماءِ شَـــكْلَ الـــرِّيحِ و فـــنّ الـــرُّوحِ حِـــينَ الـــرُّوحُ تلْعَنُ فِكْرَةَ الْخَواء.

...

لكِنّنِـــي أعْـــرِفُ أنّ اللُّغَـــةَ حِـــينَ تَحْبُـــو فِي ألْسِـــنَتِنا تُشْـــعِلُ نارَ الْعَنْقاء.

...

الطقس الثاني عشر

يحسبني محارا

...

أقحوانـةٌ في جـوفِ بركـان. نـارٌ تعشـقُ الزّجـاج. و دَمِـي ورْدتـــان فـي قلـــبِ مِزْهريـــةٍ، يهْمـــسُ للتّـــرابِ حِكايَـــةَ الْمقلَتيْنِ... لا تَنامان.

كـفٌّ نديّـةٌ تزْبـتُ على ظَهْـرِي، تَبـوسُ ظِلِّـي، تُرسِـلُني أنـا الوحيدَ في معشَرِي عَنِدَلِيباً زَكيَّ الشّريان.

أطيـرُ إليـكِ بيَـديْنِ و شِـعرٍ بحْـرِيٍّ يجـدفُ بغيْـرِ رويٍّ و قـدْ خاصمَ الْقوافي، فنازَعهُ الْبيان.

فمــنْ يرانِــي يحســبُني محــاراً، قدّســتْهُ الْميــاه. و راحَ يضــحكُ منــهُ الْمتــاه حتّــى إذا انْســلّ عمْقِــي إلى سِــدْرةِ الْمنتهــى، وجــدِتُكِ غيْمَــةَ لَطيفــةً تُبلّــلُ شِــفاهَ الْخرِيــف عاليــةً علــى النزّيــف... وَصــاحيةً مثــلَ صــباحٍ يمشِــي بِنعلٍ واحدة، ترقصُ على إيقاعاتِ النّسيان.

هــا الْفراشــاتُ صــاحِباتٌ حاضِــراتٌ و حــذِراتٌ. تغــزِلنَ الْفجــرَ في صــوفِ الْغِوايــة، و تنقضْــنَهُ كلّمــا بــدا النــورُ في قبضةِ سيّدِ الْفرسان.

...

الطقس الثالث عشر

كفّك المنكسرة

...

أرفُـلُ في ظـلّ الْياسـمينة بغيـرِ أسـئلة. أسـيلُ كـل صـباحٍ ضوءاً جديراً و جليلا... يُلْغِي وعْيَ المسألة.

هـا كفّـكِ الْمنكسـرةُ بـينَ قَـدَريْنِ. تمسـحُ ظهْـرِي الْمُتـرب، تبـوسُ ظِلّـي المُتعـب بشـفتيْنِ هُمـا الْقصـيدتان، و هُمـا الْوردتـان تصُـوغانِ دمِـي و فـي فَمـي الصّـوفيّ عابـداً لا يمـلّ الْخشـوع، لا ينِـي يطلـب الرّجـوع إلـى صـدر القمـر المُولّه.

...

الطقس الرابع عشر

تفاح المغامرة

...

آكـلُ كِسْـرَةَ خُبْـزٍ عجَنَتْـهُ كفُّـكِ الضّـوْئِيّةُ بِمـاءِ الْمَطـر. أشْـبَعُ حِـينَ الْبَصَـرُ منْـكِ يَـزوغُ عـنْ أقْـواسِ الْمـدَى إلى قَلْبِـي. يُطْعِمُـهُ شـيْئاً مـن الله. يُلْقِمُـهُ شُـعاعاً نَـزَحَ مـنْ سَدِيمِ الْكوْثَر.

...

أبْتلِـعُ جُنُـونِي الْمشْـروع دخانـاً يمْلَـؤُني، يَحْتّلُنِـي. أرْفُـض الرّجـوع. وَ قـدْ أحْبَبْـتُ فِيـكِ تُفّـاحَ الْمُغـامَرَة. فـدَعِينِي أقْضِـمُ مـنْ فنِّـكِ الْخُرافِـيّ كـلَّ الطّـينِ و النّـارِ... و كـلَّ الْكِتابَة الْمجْرُوحَةِ فِي هَسْهَساتِ الشّجَر.

...

دَعِينِـي أفْـتِنُ النّسـاءَ بالشّـجَرَة، تحْتكِـرُ ظلّـكِ الْمَعْجـون فِـي رائِحَـة الْجنّـة، و قَـدّكِ الْمرْسُـوم فِـي هَـوى النّخْلَـةِ الْمُؤْمِنَة. دَعِينِي أمْدحُكِ حتّى أسْتَوِي أنَا و الْقَمر.

...

يـا وجْنَـةً !... تحْتـرِفُ الصّـدْقَ. هَـا ثَغْـرِي مَوْجـة، يـرْفُضُ الرّمْـلُ عِناقَهـا فِي أعْـراسِ الْبحْـرِ... و هَـا أنَـا... شـاطِئٌ لا تَرْسُو على مثْنِي قَوارِبُ الْحبَقِ و الْيَاسَمِينِ... والزّعْتَر.

الطقس الخامس عشر

السّاعَةُ الْآنَ

...

السّاعةُ الآن: سُدْفَةٌ إلَّاهَا.

و لوْ طَرَقَتْ بَابِيَ الْمُنْتَشِي،

لاخْتالَ اللّيْلُ صَلَفاً، وَ تَاهَ...

...

حسْبِي مِنِها إشارَةٌ خَفِيّةٌ

تَنْزِلُ ضَرِيفَةً و خفيفةً

عَلى ذُهُولِيَ الْوسْنان،

فَتَخْطُو عَيْنِي خَطْوَها...

و تَسِيرُ عَلى مَمْشَاها.

...
أزْوَرُّ وَحِيداَ فِي ظُلَمِ الْجُرْحِ...
و فِي دُرَجِ النّوَى النّازِح
أَلْثُمُ طَيْفَها الشّجَرِيّ
ثمّ تُرْسِلُنِي بِدافِعٍ وَرْدِيٍّ
إلى عَيْنِي، حيْثُ مَبْداهَا...
...
لا شَكْلَ للرّيحِ...
و لا لِعِظَامِها الْمَعْقُوفَةِ،
و هْيَ تطْرُقُ بابِي...
عطّلْتُ أنْخابِي.
لمْ تَكُنْ...
و كانتِ الرّيحُ
تصْرُخُ: واهاً واهَا...
...
فِي الدّاخِلِ: صمْتٌ مُقْعَدٌ
و أنَا و تُفّاحَةٌ و مَقْعَدٌ.
و حِوارُنا، كانَ نَصْلاً مُثْقَلا...
وَ الرّغْبَةُ، سِكّيناً أعْزَل

رَتّبَتْنِي نَهْراً مُعَطّلا...
شَرِبْتُ، و قَدْ حَظَرَتْ عَنِّي مَاهَا ...
...
أُقَشِّرُ التّفاحَةَ الْبُنّيّةَ
نِكايَةً فِي الْوقْتِ الْمَيّتِ.
أنْتَقِدُ حلاوَتَها الْعَدَمِيّةَ،
و عُودَهَا الْماكِر.
أنْتَظِرُ سُقُوطَ الْجنّة
و الْجنّةُ دامتْ مثْواهَا...
...
اسَّمَّعُ جَرسَ اللّيْلِ،
أفْتحُ الْجَسَدَ و يغْزُونِيَ السّؤال.
كانتْ أمامِي...
و يَرْقُصُ فِي ظِلِّها الْموّال.
قلْتُ: أهْلاً ... قلْتُ: سَهْلاً...
كانَ الْخَرَسُ بِدايَة
و فيْضُ الرّوحِ ... مُنْتَهاها...
...

الطقس السادس عشر
خصلةٌ متلبّسةٌ بالخروج

...

الْمجْــدُ لِخُصْــلاتٍ تسْــحَرُ الْغِيــاب... تَمْتَطِــي الرّؤيــا وتقْتَــرِضُ مــن الْقَمَــر بَعْــضَ الــرّوح. تغْسِــلُ السّــوادَ الرّقِيــقَ فِي عــيْنِ الشّــفقِ، ثــمّ تنْحــتُ مــن النّــارِ تمْثــالَ الْأنِين.

تُغَنِّينِــي الضّــفِيرَةُ الْخَجُولَــةُ يوْمــاً جدِيــداً فِــي مِسْــكِ الظّــلالِ و فِي ظِــلالِ الْمسْــك. يرْشَــحُ مــنْ ذُؤاباتِهــا الْمُطِلّــة ثــمّ يسْــقِينِي دنَّ سُــلافَة. يقْتَلِعُنِــي مــن رِحْلتِــي الْبلْهــاء إلى قرار الْعِشْقِ الْمكِين.

أقْــبِضُ علــى الْخصْــلَة مُتلَبّسَــةً بــالْخُرُوج. أُرْسِــلُها إلــى أخواتِها فِي دفْءِ الْيَقِين.

أدْعُوهـا إلـى مأدُبَـةِ الْجـلال كـيْ تزْفُـلَ فـي صُـحْبَةِ الْيَاسَمِين.

أغْمِـزُ أخْتَهـا بِعـيْنٍ شَـقِيّةٍ... تشْـتعِلُ النّاصِـيةُ غيْـرةً وتنْسَـحِبُ إلى خِـدْرِ الْجمـال. ثـمّ تخلـدُ للنّعـاسِ في قلْـبِ الرّنين.

أطْـرُقُ بابَهـا ثانِيـاً... تزْفَـعُ حِجـابَ اللّه و تقُـول: مـنِ الطّـارِقُ؟ يُضْـرِمُ صَـوْتُها بَعْـضَ الشّـرَرِ فِي كفّـي، أمْسَـحُ خطْـوِي الّـذِي كـان. أنْسَـخُ مـن خشَـبِ الدّهْشَـة دَقّـاتِي الْظّمْـآى. ثـمّ أغَـادِر... تزْفَـعُ الْخُصْـلَةُ خِمـارَ الْملاحَـة بِلمْـسِ الْحَرِيـر، مـن نافِـذَةِ الْعفْـوِ الـرّحِيم. مـنْ لَحْـظٍ كَحِيـلٍ يصْـلُبُنِي شَـهِيداً، و حلّاجـا مُتكـرّراً علـى بـابِ مَدِينَةٍ جرْساءِ الْحَنِين...

ثـم تنْـبِسُ: مـنْ تَكـون ؟ أقُـولُ و أنَـا لا أكـونُ إلّا رُوحـاً يَتِيمَـةً تمْشِـي لـيْلاً عَلـى ضـوْءِ الْبـدْرِ حِـينَ الْبَـدْرُ يكـونُ خُلاصَـةً للضّـفائِرِ الْخُرافِيـةِ. يَكـونُ الْمُحَيّـا يخْتَصِـرُ حِكايَـةَ الْحُسْـنِ حِـينَ الْحُسْـنُ يَنْـزَحُ مـنْ ثَـرىً أنْقَـى، مـنْ شَـجَرٍ أبْقى، منْ صَفْصافَةٍ أتْقَى، منْ عِشْقٍ قَدِيم.

الطقس السابع عشر

معلّقات

...

المُعَلّقَةُ رَقْمُ – 1–

مَشْـدُودٌ إلى دُخـانٍ نَـاعِس. مُثْقَـلٌ بِرَغْبَـةٍ مَلَكِيّـة صَـاغَهَا فِـي كَفِّــي " آدم" . دَحْـرَجَ شَــيْطانٌ صَــغِيرٌ يسْــكُن دَمِــي تلْكُــمُ التّفَّاحَــة بَعْــدَ أنْ قَضَــمَتْ مِنْهَــا امْــرَأَةٌ بَلَدِيَّــةُ النُّعَــاسِ شَــكْلَ الْقَلْــبِ فِـي عَضَّــة. غَــارَ الْأُقْحُــوانُ مِــنَ الْعَضَّــة، وَ كــانَ الشَّــجَرُ لُغَــة... كُنْــتُ وَ التُّفاحَــةَ لُغَتَــيْن وَأَنَا... نَزَلْتُ مِنَ الْجَنَّةِ مَرّتَيْن.

المُعَلّقَة رقْم – 2–

وَ لَمَّــا نَزَلْــتُ أرْضــا صَــاغَنِي الرّحْمــانُ طُــولاً وَ عَرْضــا. عَلَّمَنِــي الْأسْــماءَ وَ الْأشْــياءَ ثُــمَّ عَبَرَنِــي أنْ أنْــزاحَ فِــي

يُسْـراي... أُنْثَـى تَمْلِـكُ الْأَنْبَـاء سَـأَلْتُهَا : مَـا مَـذاقُ التّفَّـاح قَالَتْ : فِي دُنْياكَ لَنْ تَرْتاح.

المُعَلّقَةُ رَقمُ – 3–

يَـدٌ كَسُـولَةٌ تَرْفَـعُ السّـتَارَة. كـانَ الْمـاءُ فَانُوسـاً وَ كُنْـتِ أنـتِ الْبِشَـارَة. حَمَلْنَـا مَعـاً تُراباً وَ كـانَ كِتَاباً. دَفَّـةٌ: خَـرُوفٌ أَنْضَـر . وَ دَفَّـةٌ: عُشْـبٌ أبْتَـر... مَـاتَ أَحَـدُنا فَكانَـتِ الْحَضَارَة.

المُعَلّقَةُ رَقْمُ – 4–

مَـنْ حَـرّرَ الشَّـجَرَ الْعـالِي؟ مـنْ دَبّـرَ سَـراحَ النَّهَـار وَ مَـدَّدَ فِي عُمْـرِ اللَّيَـالِي غَيْـرُ هَـذا الْغُـرابِ الْكَـانَ حِبْـراً رِيشُـهُ... قَلَّـمَ فِينَـا صَـبْرا، عَلَّمَنَـا سِـيرَةَ الْمَكَـان فِي نَسْـخِ الْقُرْبـان. وَ لَمَّـا اشْتَدّ سَاعِدُنا كانَ الّذِي كَانْ...

...

الطقس الثامن عشر

معذرة سيدي الكميت

...

و أنـا أجـذبكَ مـن آلِ البيـت إلى سـحرِ النايـات أعـذرني سيدي الكُميت ففي النفس حاجاتٌ و حاجات.

...

أعـذرني... فالقلـبُ زحـامٌ و العزلـةُ فيـه ميـراث و يـداي ريشةٌ لا تمسكُ الْخراب في زجاجِ المرايا الكاذِبات.

...

و عشـقِي لسـيدة النّشـيد علّمنـي ألّا أكـتم الحبـر في ينـابيع أصـابِعي... علّمنـي أن أكـونَ رقراقـاً في انْسـيابِ رشيقِ المجازات.

...

فلتشْــرُد أنــاملِي الراغبــة فــي اقتحــامِ وردةِ الحليــب عصـيراً شـارداً في ممـرات النحيـب. عينـي برهـانٌ و قلبـي سيّدٌ لهذي الفراشات.

...

واحـدةٌ علـى كتفـي تُغنّـي، و ثانيـةٌ في لَهَفِـي تبُوسُـني صباحاً... تمسحُ سمائي الْمُمكِنة من خاوي الرّفرفات.

...

و ثالثــةٌ ترفــلُ في ظــلّ النّــار. تُشــعلُ طقوســي صــمتاً تُلهِبُهـا صـوتاً، ثـمّ تزْمينـي بقعَـةً سـعيدةً في أجْنحتِهـا الْوارِفات.

...

الطقس التاسع عشر
في مشيئةِ الشجر

...

سأهَبُني في قرارٍ غيرِ سليم مشيئةَ الشجر العالي كيْ أقتنصَ في رِيشِ السّؤالِ رغبةً للتحليق. أمدّ لنوافذِ الريحِ فكرةً كسولةً عن نحنحاتِ الأوراق و عن سلسبيل الأحداق، حين تتوقف الصفصافةُ عن البكاء.

لا زمنَ لي حينَ تركضُ في عيني غزالة. لا زمنَ لي حين تغزل دقائقي عقاربُ برتقالة. ساعاتي مدفونة في أهدابها المكينة. أرقبُ طلّةَ السّكينة فأعانق فلسفة الشجر و أبوس وجنةَ النخلةِ في ريح الصباح. أسمو بها تروّضُ الجراح. تمسح مساءاتي المسترخية على

أرائـك الضـوء، تهـبُ نهـاراتي شخصـيةَ الليـلِ و تقـرص خـدّ الظّهيـرة. تنبّهنـي إلى حكمـةِ الظـلال، تمـتصّ تعبـي تهدهِـدُ تـاريخي و تهمـس لي في وهـمِ بطـولاتي أن النفيـرَ دخان، و أن قيامتي برهان.

...

الطقس العشرون

رقصةٌ قديمة

...

سبقتُ الظلّ إلى جسدك و قد أسعفني في السّباقِ جناحٌ من رغوة السّماء. و لي في هذا مشيئةٌ واحدة: أنْ أفكّ في سمتِ الْواحِدَة أزْرارَ الروحِ الواجِدة في ظلالِ الماء. أنْ أسكبَ كلّي و جُلّي في سديمِ الرّقصةِ الموعودة و الواعدة حتى ثمالة الانتشاء.

أرتّب قدَرَ القدمينِ على إيقاعاتِ النشيد. يُغنّي جبيني و جبينكِ في سقاةِ لذيذِ النبيذ. نختلسُ خرافة الضمّة، نقتنصُ عزلةَ اللحظةِ في اجتناءِ فنّ القضمة ونصنعُ معاً صورةً راشِدة لقمرينِ شدّهما إلى قدر العشقِ عرسُ اللقاء...

هـا ظـلّانِ وارفـان يقفـانِ علـى محمـل العشـق، يسـكبانِ في الخطـو المـرتعشِ أسـرار اليـدين و العينـين و الأنامـل المشـدودة إلـى لهـاتِ الـروح. تختفـي الجـروح خلـف سـتار الرقصـة القديمـة تنتشـي أذيـال الفسـتان المجنـون بعبـقِ العطـر المكنـون في تفاصـيلِ الخصـر الأهيـفِ يـداعبُ الكـفّ الظّمـآى أن طـوّقِي نطـاقَ الدهشـة حتـى لا يخـرج منهـا حـدٌّ عـن ملمـسِ الرعشـة و عـن سلسبيل النقاء.

ضُـمّني أيهـا الفـارس المتـوخَّى إلـى صـدرك... أسَّـمَّعُ لذيـذاً شـهيقَ التـاريخ الْمنسـيّ فـي تفاصـيلِ حـذائي الخجـلان مـن دوخـات الأرجـل بـلا برهـان. شُـدّ علـى يـدي كـي أفـكّ عـن ظلـي الولهـان حشـمةَ الاسـتجابة لوقـعِ الكمنجـات و الربابـة فـي صـدري و فـي قـدمي و فـي خطـواتي المرتابـة . اِصـعدْ بي درجـاً أو درجـينِ في سـماء الـرقص و الـرنين. احملنـي ضـباباً رقيقـاً ينكـر وحشـة الجسـد، و يسـترخي طـائرا صـديقاً في رعشـات الوجـد. اردمْ يـا فارسـي الغـابر كـل المسـافات بينـي و بـين صـهد

أنفاســـك... أخرجنـــي منّـــي إليـــك حتـــى أذوبَ رذاذاً شـفيفاً في جميـل وسواسـك... طـوّقني بقبضـات الحريـر فـي ذراعيـــكَ الـــواقفتين حتّـــى أشـــتمَّ شـــديداً قوّتـــك وجبروتـــكَ، ثـــمّ بأسَـــك... اعْصـــرني تفّاحـــةً عاليـــةَ اللـــذّة واليقـــين، و لا تُبـــقِ منّـــي إلا حشاشـــةً تحتفـــل برقصـــة المعنى و تنكر احتفال رديم الطين.

...

الطقس الواحد و العشرون

في سقوطي التاريخيّ

...

مـن شـهقةِ الـرّيحِ إلى رشِـيقِ الـرّوح لـم أسـمع لِعظـامي رنيناً. و سمعتُ ارتطامَ المعنى في قاعِ الْجنون.

أذكـرُ أنّ المسـافةَ بـين عينـي و عينـي كانـتْ بعيـدة مثـل قلـب أمّ موسـى. و كانـت تفصـلني عـن صـرخةِ الضـوءِ ظلمـات نسـجتْها نفسـي في حرائـقِ القطـنِ و التّـراب. وعجبـتُ لهندسـةِ الكتـاب... كيـف تنثرنـي عاشـقاً ومعشوقاً في دروبِ الْمحوِ و مسالكِ الْخراب.

فكيـفَ لـي الآنَ أن أجـرحَ الغيمـةَ فـي انْحـدار الطـلّ وانسـلالِ الـدّمع مـن سـاقيات الرّجـع لهـذي الألحـاظ الحزينة في ليالي الاغتراب ... ؟

أيـا عشـقاً تجرفـه رمـالُ الـرّكض اللّاهـت إلـى أبـوابِ المجـد العابـث... هـا كفّـي شـاختْ عـن ممارسـة رياضـة القُبل، و داختْ في سماواتِ رشيفِ المقل.

لا علـم لـي في حلبـات الضـمّ و الرفـع و لا لـي في توقيـعِ المعنـى علـى سـحر اليمـين و فتنـةِ اليسـارِ، و بطـونِ المـواطئِ حـينَ المـواطئُ يرقـد فيهـا العسـل . أنـا سـهوٌ ملعـونٌ فـي أروقـةِ الحـظّ السـقيم و الجـد العقـيمِ والقديم...

أسـرق حبـات التـين مـن روضـات الـريح. أقضـم مـن خـدّ المـاء، أبـوس المـوج و لا أسـتريح. أعيـاني الوثـبُ في خسـاراتي و جسـاراتي. لـم تكـن إلا وهمـاً فـي تشـريح أقنعة الروح.

لبسـتُ ذات يـوم عبـاءةَ ظلّـي و ظلّـي كـان علـيّ فضفاضـا. عـوراتي فـي جهـات الشـمس كانـت للنـابزينَ أغراضـا. مللـتُ الطعـنَ في الـزمن، و الـزمنُ كـان لي شـيخاً واعظـا و كنـتُ أنـا مـن زادَ عـن الفـيضِ... و في وهـمِ العشـقِ استزادَ حتّى فاض ...

...

الطقس الثاني و العشرون

أركضُ بأعْيُني المستحيلة

...

على يابسةِ الإثم المجنون. أراهِنُ على سُفنٍ بغيْرِ أشرِعة، و أنتقِي في خطوِي الذّاهلِ طُرقاً معقوفةَ الظنون.

أركبُ موجَ الْعاصِفة. أطلبُ أزرارَ الْغِوايَاتِ في دليلِ الأقمِصةِ الخاسِفَة. و أربّي في ذقْنِي الأبيض أرتالاً تائهةً من زغَبِ الْماء حينَ الماءُ يعتنِقُ في فلسفَةِ الضبابِ بقايا لحيَةٍ في تاريخِ المُجون.

أنـا صـباحٌ بغيـرِ ألـوان... و حزامـي اللّيلـي ترتيـبٌ لخيـالٍ يتـدفّقُ عشـقاً للمـوتِ في صـورةِ الرّمـاد، حـينَ الرّمـاد يهـزأُ بالرّيشِ المسجّى في حالاتِ الكمون.

و تكتُبُنـــي فـي ألــواحِ الغيــابِ مســاءاتِي الغــابِرةُ ملحــاً حزينــاً، يكسّــر شــفتيِ السّــكّر... يشــربُ حظــوظِي فـي رِهانِ الفوضى، و يرسمنِي ثلْجاً شعرِيّاً بغيْرِ مُتون.

الطقس الثالث و العشرون

رحيلُ المجاز

...

لـيسَ مجـازاً هـذا المشـهدُ الـوثَنيّ ينـزاحُ ضـاحكاً مـن قلـبِ الصفصـافة. يمـدّ رجلـينِ طـويلتيْنِ في نهـرِ المعنـى. يغتسـلُ مـرّتينِ قبْـلَ أن تجـفّ عـينُ الورقـاء مـن دليـلِ الْبكاء.

و هـا المسْـتثْنى في الـورَى يفقـدُ ظـلّ الشـجرة. والشـجرة تمـتصّ جـذوره، تسـقي عظامَـهُ التاريخيـة بمـاء النبيـذِ وفجْرِ السّلافَة.

و هـا نعمـةُ المـوتِ تجـرّ الحـارِسَ الْأمـين إلى زغـرداتِ الكفـن. تـرشّ سـيقان التـراب، تبنـي أسـوار الغيـاب. تلعن أسبوعَ الجسدِ و تُمجّدُ يومَ الْيباب.

و هـا القطيعـةُ قطيفـةٌ. ورقـةٌ سـقطتْ دانيـةً مـن هُـدبِ طيْـفِ اللطيفـة. تنسـج في وجـهِ الراحـل مناديـل التلـويحِ و قناديــلَ التّوشــيحِ، و تصــرخُ في مطــارات الانتظــار أنّ بعضَ الأوسِمة نهايات.

فيـا ليـتَ الغـدَ عربـةٌ مـن بلاغـة، تقـلّ جسـدَ المسـافرِ في مجــازِ الرّحيــل. تلعــنُ في أعــراسِ العبــورِ هــذا الخطــوَ العليــل... تبــوسُ المســافات في رِواقِ القــبلات و تقــرأ السـلامَ مقلوبـاً لقـارئِ السـلام... تـردّ ارتجـاجَ الـرّوح إلى مخـابئِ النسـيان. تتلـو نشـيد الـوداعِ علـى مسـامع هـذا الأفـق الوسـنان. أنّ مـا كـانَ حلمـاً صـارَ مجـازاً ينظـرُ شَـزراً إلى وهمِ البرهان.

ســيّدتي المنتظــرة و ســيّدتي الناضــرة! ضُــمّي وجهــكِ الصّـبوح إلى مصـابيحِ الـرّيح تجـدين مـن سـرقَ منـكِ كـل الضوءِ أقسى جريح.

...

الطقس الرابع و العشرون

أحبّ الله

...

كلّما رتّبتُ أضلاعي في مياهِ الفجر الباردة كلّما صنعتُ لعيني يقينَ الحكمة. و كلّما اقتربتُ من الضوءِ في مشكاةِ الله وجدتُ الله. و اختفتْ في سوادي كل العتْمَة.

أنا مؤمنٌ صالحٌ ، و أرجو موتي في شِفاهِ السماء و في أسطورةِ البسمة. أدركُ كما أنتُم أنّ اللّهَ جميلٌ يحبّ أن نكونَ فيهِ أجملَ و أنصعَ و أنضرَ من نضارِ النجمَة.

...

الطقس الخامس و العشرون

رأسي الفلسفية

...

لـمْ تَـكُ رأْسِـي شـأناً فلْسَـفياً. علّقَتْـهُ الـدّهْماءُ عَلى بـابِ الْمَدِينَة. و كانتْ أمّي وحْدَها في حَوْمَتِنا وَرْدَةً حَزِينَة.

كنْــتُ بِالْكــادِ أتَهَجّــى نَشِــيدَ الْخُــروجِ، مــنْ بــابِ دارِنــا الطيّبَة إلى سَماءِ الْعُرُوج...

وَ كـانَ شَـيْخِي فِي الْبَيـان شَـرِيفاً مـنْ عَـدْنان. رَسَـمَ لِي في التّـرابِ خطّـاً بـيْنَ خُطـوط ثـمّ وَسَـمَنِي بِالْأمـل. و كنــتُ عَلى عَجَل.

كنـتُ لا أرْغَـبُ فِي الْبحْـر. شَـرِسٌ فِي طَبْعِـي و مـؤْمِنٌ فِي رَبْعِـي... أبْنِـي دَوْلَـةَ لِي مـنْ عـاج. أُقَلِّـدُنِي كـلّ صباحٍ تاجاً أو ما يُشْبِهُ التّاج.

حتّــى إذا انْــتَفَخ اللّقْــلاق عــنْ عُشِّــه و ضَــاق، نَفَضْــتُ بَعْـضَ رِيشِـي، لمْلَمْـتُ الْخَطْـوَ عَلـى حَبْـلِ الـدّرَاوِيش. أرْقُــبُ السّــاحَ أنْ يتَغَــوّلَ و أنْ يتحــوّل و أنْ يمْشِــي الـذّئبُ إلى جنْـبِ الْحُمْـلان، و كنـتُ أثِـقُ جيّـداً فِي سـيماءِ الْخلّان.

أهـشّ عَلى قَلقِـي بِعَصـا الطّاعَـة و كانـتْ تلْوِيحَـةً منّاعَـة. و كنــتُ أراهَــا شَــقِيّةً، تشْــرَبُ كفِّــي ذِراعــا. أكْــنسُ مَحارِيبَهـا مـن عطـرِ الْبرتقـال و اللّيمـون، و كنـتُ بِأمْرِهـا الْمَيْمــون طِفْــلا اسْــتِثْنائِيا يُلْغِــي شَــكْلَهُ الصّــغِير كــيْ يكبُرَ سَرِيعا باعاً و باعا...

...

الطقس السادس و العشرون

حدّقْ فِي السّنْبُلَةِ

...

حـدّقْ فِي السّـنْبُلَةِ! حـدّقْ فِي وَجْنَتَيْهـا، كُلّمـا صَـرَخَ الْمـاءُ فِي عَطَشِـك. توَضّـأْ بالضّـوءِ فِي ورْدَتِهـا، ثـمَّ احْسِـبْ كـمْ خَرِيفاً، أشْعلَ مَواعِيدَ الرّبِيع و أخْلَفَ صهْدَ الصّيْف...

و كـمْ قَطْـراتٍ مجّـتْ عِناقـا لِأعْنـاقٍ صـاغَها التّـراب نِفاقـا. فَهـلْ تسْـتَوِي فِي لِسـانِي الْمعَقّـمِ سَـوْرَةُ النّـارِ بصُـورَة الـثّلْجِ ترْسُـمانِ معـاً شَـكْلَ خَطْـوي الْمُهـاجِر بـيْن شَـغَفِ التّـرابِ و لـونِ شَـفَتَيَّ الشّـائِبِ؟ تَرْقُصـانِ معـاً فِي حفْـلٍ تنَكُّـرِيٍّ يُـزوِّجُ الْقِنـاعَ إلـى الْيَراعَـة، و الْأقْفـاصَ إلـى الْيَمامَـة... تبْكِـي في خُلْوَتِهـا فُرُوسِـيَةَ الْبَيَـادِر، و اللّيـالِي الْمُقْمِـرَة عَلـى سِـلالِ الزّيْتـون و الْقَمْـحِ الْبلَـدِيّ والشّـعِير يُكَوِّمُ شَبَقَهُ في أعْراسَ الْمَطامِر...

الطقس السابع و العشرون

يا يومَ الْمجَازِ الطّوِيلِ

...

أسـألُ عـنِ الْقِطـافِ، تُسْـرِعُ لُغَتـي إلى التّلاشِـي و أقـولُ حِينَهـا: يـا يـومَ الْمجَـازِ الطّوِيـلِ هـل لِي بثَمْـرَة مِـنْ حارِسَـةِ النّخيل ؟

ترَجّلْـتُ جريئـاً عـنْ صَـهْوَةِ الْيَمـام... رَاوَغْـتُ خبيئـاً رَغْبَـةَ الْعصْـفُورَة. سَـقَطتْ ثَمـرةٌ. تلَقّفْـتُ عسَـلَها فَعَطشْـتُ، ثم عطشتُ حتّى ثُمالَةِ الْهديل.

أعـدتُ الطّلـبَ ثانِيـةً و لـمْ أبْلُـغْ بعْـدُ سِـدْرَةَ الـرّواء... نزلَـتْ ثَمْـرَةٌ ثانِيـة، لـمْ تكْتَـرِثْ أبـداً لجاذِبِيـةِ كفِّـي. و كانـتْ كَفِّـي

سُـؤالاً دمَوِيّـاً، أغْرانِي بالاِنْتظـار و سَـوّغَ إلى عطَشِـي بُقْعَـةً داكِنَةً منَ الْاسْتِرْخاء.

عَرَفْــتُ بعْــد لَأْيٍ أنّ شَــجَرَةَ الْمــاء زَيّنَــتْ فـي عَيْنِــي أسْطورَةَ الْمسْتَحيل.

...

الطقس الثامن و العشرون
الكلماتُ الّتي تقُولُنِي

...

يقِفُ على منْسأَةٍ منْ نَار...

يحْرُسُ الْعُشْبَ منْ طيْشِ التّراب،

يُطْلِقُ روحَهُ عارِيةً منْ دِثار.

يرْسُمُ لِلْقادِمينَ

منْ مهْرجاناتِ الْخراب،

شَكْلَ السّقُوطِ...

و أشْكالَ الْبَوار.

يُوزِّعُ غُرفَ الْجحِيمِ،

غُرْفَةً غُرْفَةً...

و يضْحَكُ عادِلاً

منْ عطَشِ الْمغْموسِين
فِي وِساداتِ الْعارِ و الشّنار.
هَا صَوتُكَ...
يا حارِسَ الْوقْتِ النّاريّ،
يقْسِمُ انْتِحابَنا ضِيزَى.
و يملَأُنا ضباباً منْ صَغار
...

الطقس التاسع و العشرون

خارِجَ الْمُوسِيقى

...

انشَـقّ قَلْبُهـا إلـى قَمـرَيْن: شِـقٌّ بِبَوْصَـلَةِ الـرّيح و شِـقٌّ يتصوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى.

لـمْ يَلْتَقِيـا قَـطُّ. هـيَ رِحْلَـةُ الطّيـورِ الْبَنَفْسَـجِيّةِ، لا بَحْـرَ لَهـا و لا شـاطِئ. و كـلّ الصـيّادِينَ هُنـاك أشْـعَلُوا طقْـسَ اللّغَـةِ و الْبُخـار ، و رَقَصُـوا علـى نَـارٍ بغيْـرِ دخـان. سَـمَلُوا عـيْنَ الْكلِمـات. شَـرِبُوا نخْـبَ الْإشـارات. حتّـى سَـقَطَ الظّبْـيُ نجْمَـةً وديعـةً، مثـلَ نـبْضٍ أحْمـر يرْفَـعُ رأسَـهُ إلى الْقَمَرَيْنِ ...

واحِدٌ بِبَوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

كنتُ سَاعَتَها أتَهجّى في الْأنْوارِ شَكْلَ الْغَرامِ. تَزْدَحِمُ فِي عَيْنِي جنّةٌ و امْرأةٌ كثِيفَةٌ بالْأسْرار . أدْركْتُ الْجنّةَ تحْت قَدَمَيْنِ، و لمْ أدْرِكِ الواجِدَة لأنّ قَمَرَيْها أبْحرا:

واحِدٌ في الرّيحِ بغَيْرِ بَوْصَلَة، و ثانٍ يَتصَوّفَ خارِجَ الْمُوسِيقى...

فهلْ يَلْتَقِيان ؟ هلْ يَلْتَقِيانِ و فِي دَمِي أنِينٌ و رَبِيع. هلْ يَلْتَقِيانِ و أنا أموتُ كما يمُوتُ الشّجَرُ واقِفاً. هلْ يَلْتَقِيانِ و أنايَ سَاحِرَةٌ تعُومُ عارِيةً في لَهِيبِ السّفر منْ أقْصَى الْحَنِين إلى أقْصى الرّنين. ترْسُمُ نخْبَ الْأقْداحِ فِي عيْنِ الشّمس و ترْبتُ على ظهْرِ الشّعاعِ منْ أذْناهُ إلى أذْناه. تُسَمِّي الْأصابِعَ طرْقاتٍ ساخِنَةً على أوْتارِ الْبَيان. تعْزِفُ الْغَيْمَ والْقمرَ والظّلامَ على مقاماتِ الْمَرايا الْحدْباء على قلْبٍ مَكسورٍ بلّلَهُ الْعِشْقُ و جمّلَهُ الصّبْرُ منْ حُسْناهُ إلى حسْناه... فهلْ يَلْتَقِيانِ و في يَدِها سُؤالٌ مُعطّلٌ عنْ قَمَرَيْنِ:

واحِدٌ ببَوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

هَـا أنـا أرْمِـي بِحُزْنِـي الْخـاصّ فـي لُغَتِـي الْمُتوحّشَـة، صـادِقاً مثـلَ قَصِـيدَة، و سَـاذجاً مثـلَ شَـمْسٍ عَنِيـدة. أعـدُّ الْكلِمـاتِ فِي جـوْفِ الْجمـالِ و أهـزّ رِيـشَ الْغَيْمـاتِ فِي نفْـخِ الْهـواءِ الْبـارِدِ فجْـراً... و أكتُـبُ مُزْدَحِمـاً عـنْ لثْـغِ الزّهْـراتِ حِـينَ تـتكلّمُ في حضُـورِ الْواجِـدَة، وَ هِـيَ تَنْثُرُنِي أذانـاً سَـماوِياً لِموْعِـدِ فجْـرٍ شَـتْوِيٍّ لا يَسِـيرُ إليْـهِ إلا مـنْ انْشَقّ قلْبُهُ إلى قَمَرَيْنِ:

واحِدٌ بِبوْصَلَةِ الرّيحِ و ثانٍ يتصَوّفُ خارِجَ الْمُوسِيقى...

...

الطقس الثلاثون

سبْعَةُ أجْنِحَة

...

سَـمّتْنِي أمّـي بخَيْـرِ الْأسْـماء ثـمّ رَمَتْنِـي في سـلّة مـنْ قَشّ التّعَبِ.

لمْ تَقُلْ لأُخْتِي الْبكرَة قُصّيهِ إذا رَهِب.

أمَرَتْهـا أنْ تقُـصّ مـنْ خَـوفِي، و أنْ تـزْرَعَ فـي أضْـلُعِي سبْعَةَ أجْنِحَةٍ من ذَهبْ...
واحِـدٌ لِـي يَمُـدّ فِي عُمْـرِ الْفتَـى. أحلّـقُ بـهِ في غَمْـراتِ النّصَبْ...

و ثـانٍ لِطَيْفِـي، أرَتّـبُ بِـهِ حَقْـلَ السّـماواتِ كلّمـا حَقْـلُ الأرْضِ جاعتْ فَوْضاهُ إذا سَغَبْ...

و ثالِـثٌ لِخَـوْفِي، أرُجُّ بِـهِ مـا أنـاخَ مـنْ سَـمْتِي في صَـوْلاتِ صَمْتِي. حتّى ينْقَلِبَ السّحْرُ على خاوِي الْحِقَبْ...

و رابِـعٌ جنـاحٌ غـابِرٌ فِـي جـلالِ النّقـاء. يكْـرَهُ أسـامِي الْبُغـاث إذا الْبُغـاثُ مـلأ السّـماء بُزاقـا و ثُغـاءا... حتّـى إذا النَسْرُ حلّقَ غنّى السّدِيمُ كلّما الوَحْشِيُّ صَقَبْ...

و خـامِسٌ رآنِي مَعْقُـوفَ الإيمـانِ، سَـوّى لِـي فِي الْغَيْـبِ مثْناً، ثمّ رَمانِي فِي أتُونِ النّارِ فِينِيقاً بِرمادٍ منْ عَجَبْ...

و سـادِسٌ قَـرّبَ لِصَـدْرِي وَصـايا الْجَبَـلِ و حِكايـاتِ الصّـبْرِ، ثُـمّ رَقّـانِي شَـبِيهاً بِالْمَرايَـا. أمْـتصُّ شُـعاعَ الْقَهْـرِ وأرْسِلُ قَوْمِي إلى أقَاصِي الْغَضَبْ...

و سـابِعٌ جنـاحٌ مـن مّـاء. يحْمِـلُ فِي يُمْنـاهُ عَصـا السّـماء. يَهـشُّ بِهـا علـى خَـوْفِ الْبَحْـرِ... يَشُـقّهُ إلى صَـبْرَيْنِ: واحِـدٌ لِي، و ثانٍ لأمّي حِينَ بَحْرُ أمِّي، كلَّ الْبُحورِ غلَبْ...

و لمّـا دنَـتْ سُـلّةُ قَشِّـي مـن قَصْـرِ الْعَطَـشِ، رَفْرَفـتْ علـى جَبِينـي فَراشَـةٌ مـنْ رَقْـراقِ الْيَقِـينِ. مَسَـحتْ مـن عَلـى فَمِـي كـلّ الْوَصـايا. صَـبَغَتْ قَلْبِـي قُرُنْفَلَـةٌ بِغيْـرِ مَرايـا ثـمّ لَثَمَـتْ رأْسِـي و كانـتْ قُبْلَتُهـا أجمـلَ الْهَـدايا. كبُـرْتُ وأيْنَعـتْ فـي كَتِفِـي شَـفَتاها لَيْلَكـاً يُـزوّجُ الْقُـزَحَ إلـى دَهْشـاتِ الصّـبايا، حتـى امْـتلأ صَـدْرِي بالنّجْمـاتِ و قَـدْ كانَ صَدْرِي رَحِيلاً من لَهبْ...

...

الطقس الواحد و الثلاثون

قُبْلةٌ و قُرْبان

...

سيّدَتي الْغامِضَة!

أمْهِلِيني حتّى أرتّبَ

فِي رَغْوتِكِ الْقُزَحِيّة

شَكْلاً لِفَمِي

وَ شَرْطاً لِدَمِي.

هُما إذنْ: قُبْلَةٌ وَ قُرْبان.

...

أمّا هِيَ فَخُرافَةٌ

تمْشِي على سَجّادٍ فارِسِيّ

إلى عرْشِكِ الْأرْجوانِيّ.

و أمّا هُوَ... فَقِيافَةٌ

تُفْشِي انْسِيابَ اللّون
مَاء يُطَهِّرُ فِيكِ عُنْفُوانِي.
...
و أمّا أنا...
فلمْ أزَلْ إلى الْيَوم
لمْ أعْزِلْ بعْدُ
جَسَدِي عنْ دُخانِي.
...
أنَا الْغَرِيبُ النّازِحُ
منْ قَبْضَةِ الطّينِ الْمُزْهِر
لَمْ أقْتَرِفْ فِكْرَةَ التّفاحَة
كلُّ ما صَنَعَتْهُ يَدايَ الْمُبْدِعتَانِ
أنّني لَفَفْتُ الثّمرَة
فِي قِطْعَةِ جَرِيدَة قَدِيمَة
فِي صَفْحَةِ الْهَزِيمَة.
لمْ تُسْعِفْنِي ذاكِرَتِي اللّئِيمَة
وكنتُ صدْفَةً
لا تَدّعِي انْتِصاراً
أو غُنْماً و غَنِيمَة

ثمّ نزَلْتُ
يتْبَعُنِي صُراخُ الشّجَرَة
نَزلْتُ في قَاعِ خَابِيةٍ منْ عَسل
تحْرُسُهُا الْفراشَاتُ
و النّجْماتُ و الْكمَنْجات...
كنتُ ذاكَ الْفتَى الْمرْصُودَ
فِي مُفْترَقِ الضّوءِ
للْقَبْضِ على بَعْضِ الضّوْء.
انْتَقَانِي حَيِّي
لاسْتِقْبالِ الشّعاع
و زكّتْنِي أمّي
غيرَ أنّي نَسِيتُ خُطّةَ النّرْجِسَةِ
فِي سَرابِ امْرأةٍ غامِضَة
أحْرَقَتِ الْماءَ و عَزَلتِ الْمَرايَا.
ثمّ حوّلتْ شكْلَ السّنْبُلاتِ
منْ زَهْوِ الْاِنْتِماء
إلى زَهْرِ الْاِنْتِشاء
و منْ تمَاثِيلِ التّراب
إلى ظُنونِ الْغاب

و كُنْتِ أنتِ
شجرةً مُراوغة
لِكلِّ الصّفْصافِ الْقَدِيم
وَ كُنْتِ شَاهِدةً ماكِرَةً
على انْتِحار الْبَلّوطِ
في حكاياتِ عشْقِ الصّبايا الرّدِيم
و كانَ الْقَمَرُ ...
وحْدَهُ الْقمَرُ
كانَ فَارِساً
يصْقُلُ فِي عَيْنَيْكِ
كلّ الْاِسْتِعاراتِ الْمُدجّجةِ بالنّورِ ،
وَ عَالِي الْبَخُور.
كانَ فارِساً منْتَشِياً
فِي ثُمالَاتِ الرِّيحِ
منْ أدْنَى الظّلّ
في الصَفْصافَة الْبَاسِقَة
إلى أقْصَى النّورِ
فِي قَلْبِ الْأرْكانَةِ الْعاشِقَة
و كنتُ أنَا

ذاكَ الْاِشْتِهاءَ الْغابِرَ
في حِكايَاتِ الْعَطَش
كَرْمَةً فِي كفّ الْخَرِيف
تُزْهِرُ أغْنِياتُها صَيْفاً
على إيقاعاتِ رَقْصِ الدّوالِي
و كنتُ قَمْحاً أسْمَرَ الْمُحيّا
تَعْجِنُنِي الْفَراشَةُ خُبْزاً ذَكِيّا
و لمْ أَكُ يَوْماً
فِي مأْدُباتِ النّساءِ
غَاوِياً أو شَقِيّا.
أذْكُرُ أنّ نَهْرَكمُ الطّوِيلَ
كانَ ماءً أسْطورِياً
يسْكنُ ذاكِرَتِي
و حَكتْهُ دَفاتِرِي الْجُغْرافِيّة.
و أنّ نَهْرِي الْهَزِيلَ فِي بِلادِي
كانَ حجَرا تسْكُنُه آلِهةٌ خُرافِيّة.
لمْ يَجْمعْنا في تَقَمُّصِ الْاِسْتِدارَةِ
بَدْرٌ أو نجْمٌ
أو حتّى قرْصٌ

يُسَوِّرُ مِعْصَمَ طِفْلَةٍ
تلبسُ الاستعارة
سَعِيدَة بِالْعِيد
أو دُمْلُجٌ فَاضَتْ فِيهِ الْألْوانُ
عَلى الْتِماعِ اللّجيْنِ
مثْلَ ظَبْيَةٍ
سَالَ فِي دَمِها الْعَنْبَرِ
جَلِيلُ النّشِيد.
حَملتُ الْقُرْصَ
و الدّمْلُجَ و الظّبْيَةَ على كتِفِي،
مثْلَ صيّادٍ عَنِيد
ثمّ رحَلْتُ
أشْبِهُ الْعطّارَ
يجوبُ قِفارَ قلْبِهِ
يسْألُ الدارَ و الدّوّارَ
و فِي قِرابِهِ:
صُورَةٌ لِامْرَأةٍ غامِضَة
سَيّدة لا شَارِدَة
تُمْهِلُني الآنَ

حتّى أرتّبَ
فِي رَغْوتِها الْقُزَحِيّةِ
شَكْلاً لِفَمِي
وَ شَرْطاً لِدَمِي
هُما إذن : قُبْلةٌ وقُرْبان
وبيْنَ حدّيْ الْفمِ و الدّمِ
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان
سَكتَ الْعقْلُ و انْطَفا الْبُرْهان...
...

الطقس الثاني و الثلاثون

قُميْرٌ مُدلّع

...

مَـــا كنـــتُ أصُـــوغُ للـــدّخانِ صَـــوْتاً وَ رأسِـــي مُثْخَنَـــةٌ بِالْبَيـــاضِ. أعْـــرِفُ أنّنِـــي مُـــذْ عَرَفْتُـــكِ انْكَسَـــرَتِ الـــذّكْرى يَمِينـــاً فِي مِلْـــحِ الْخُبْـــزِ الْمُبـــارَك، و يَســـاراً في قَطْـــرةِ مـــاءٍ عالِيـــة، تَسْـــتَعِيرُ الْجمـــالَ كـــيْ تَعْجِـــنَ قَلْبِـــي مـــنْ جَدِيـــد دَقِيقاً يَغْزُو الصّباح و يُغنِّي قِصّةَ الشّرودِ الْجمِيل.

أنـتِ فـنُّ الْوشـمِ الْغَجَـرِيّ... فِتْنَـةُ الْمسَـاءِ الْقتيـل، يعلِـنُ عـــنْ مَـــوْتِي بـــدونِ وَصـــايَا. و الْفراشَـــاتُ بقايـــا... قَـــاهِراتٌ لشَكْلِ الظّلام. رَشْقٌ بأجْنِحَةِ الْوَداعة.

و أنـا أحْلـمُ في رَفْرَفاتِهـا بِعنـاقِ الْـوَرْدِ و النّجْمَـةِ و الْقُمَيْـرِ الْمُدلّعِ والشّهْدِ و الرّغِيفِ الْمُشْتَعِل فِي أزْوِقَةِ الضّياء.

تقْضِـمُ التّفاحَـةُ مـن سِـحْرِهِ رائحـةً هِـيَ سـليلةُ الْعِشْـق فِي نشْـوَةِ الْمطَـر ... فأُولَـدُ أنـا فِي بَوّابـاتِ الْمَـوْتَى شَـجَراً يافِعـاً دَنِيّـا و نَخِـيلاً يسّـاقَطُ رُطبـاً جنِيّـا. أسْـكُبُ مـنْ أصـابِعِي كـلّ الظّـلّ الْمُمكـنِ، و أعلّـق إلى حـينٍ صَـهْدَ الأوجاع في شِفاهِ الْيَراع...

حتّـى إذا نبَتَـتْ زَهْـرَةٌ في جَبِينـي فتّتْـتُ أحْلامِـي علـى وَجْنَتَيْهـا، و قلـتُ للْخُضْـرَةِ الْمُعلّقَـةِ فِي شِـفاهِ الشّـمس هـا أنَـا، و هـا نبْضِـي، و هَـا الْخَفْـقُ يفْـتَحُ لِلْفَراشَـةِ كـلّ جِهـاتِ الـرّوح. بـدْءاً بِتقَاسِـيمِ الشّـرَيان إلى أسـاطِيرِ عَـزْفِ الْوجدان عُبوراً على جَسَدِ الْأقْواس.

هَـا أنَـا أعـومُ في بحْـرٍ بـلا رَسَـن. و أغنّـي للنّورسـاتِ نشـيدَ الوسـن... أعـزِلُ الرّمـل عـنْ مآقِيـهِ و أسـرِقُ مـن المـوجِ إلهتَــهُ الشّــقْراء و الــوَثَن... و أقــول فـي الخِتــامِ: هــذِي الْفرَاشَةُ لِي و إنْ كانتْ لِي فَهِيَ الْوطن...

الطقس الثالث و الثلاثون

ثُمالَة اللّحْنِ

...

أَنْظُـرُ إلى ثُمالَـة اللّحْـنِ فِي حكْمَـةِ الـرّوحِ حِـينَ الـرّوحُ لا تغضّ الطّرفَ عنِ جمْرِ الْإشارَة.

...

يقْضِـمُ اللّحْـنُ مـنْ أسْـمائي عَرْبَـدَة الْقُـزَحِ. يُعَرِّينِـي مـنْ قَبْضَةِ الشّجر، يَكْتُبُنِي هَاجِساً فِي غَيْرِ عِبَارَة.

...

يصْـنَعُ رَغْـوَتِي، فِي مَصـانِعِ الْفـيْضِ. يُحِيلُنِـي نَهْـراً فـوْقَ الْغـيض. يبْكِينِـي قَصِـيدَةً، تمـجُّ صَـلِفَةً كُـلَّ انْزِياحـاتِ الْخَدِيعَة. و تَقْتَنِي لِفسَاتِينِها، شَكْلَ الْبِشَارَة.

...

مَـا كـانَ حرْفِي حَوارِيّـاً، و لا خـاضَ فِي ظِـلّ الْمـاء. و لا جَـرَى نسْـغاً، فِي رَمـادِ الْعنْقـاء. و لا رأى حِـينَ رأى، بِعـيْنٍ مـن زُجاج... و كانَ بَصِيرَةً، تَعْجِنُها الْجسَارَة.

...

و كنـتُ الْمَـدى، يَرْكـبُ خَـيْلاً بِدائِيّـة. يَغْـزِلُ الْحـافِرَ عَلـى الْحَـافِرِ... يُغَنِّـي الْخَطْـوَ طُهْـراً فِي صَـهواتِ الظّـافِرِ. و فِي ثَوْبِهِ الْملَكِيّ يَلْعَنُ فِي الْقَلْبِ انْكِسَارَه.

...

قـالَ لِي صَـاحِبِي،حِينَ اكْتَشَـفَ شَـكْلَ الرّخـام فِي سَـمْعِ الْأنـام: اِحْمِـلْ كُلّـكَ و جُلّـكَ و ارْحـلْ مـنْ جسَـدِك. اِبْحـثْ عنِ امْرأةٍ تَغْسِلُ الْقُبْلَةَ فِيكَ قَبْلَ أنْ تلْثُمَكَ الْقِيثَارَة.

...

الطقس الرابع و الثلاثون
في احْتراقِ الظّلامِ

...

طلّقــتُ رَمــادَ الْخَســاراتِ لَمّــا عرَفــتُ أجْمــلَ النّســاء. وأجمـلُ النّسـاءِ كانـتِ امْـرأةً، قُـدَّتْ مـنْ ثلْـجٍ و نـار. تعجِـنُ الْوقتَ الجميلَ وتراً تُناجيهِ الْأوْتار.

تمْسـحُ بِكفّهـا الْمُزْهِـرَة رذاذَ الْسّـماءِ الْمُمْكِنَـة، و تَفِـيضُ أجْنِحَـةً مجنّحـةً علـى كـلّ الْأمْكِنـة . فَأولـدُ أنـا الموسُـومَ في الْغيْـب سِـفْراً مكْتوبـاً في أسْـرارِ الْمـاء و فِي اطْمِئنـانِ السّـماء. نِصْـفاً مُحْتَرِقـاً مـنَ الْكـلام و نِصْـفاً ثانِيـاً سُـؤالُهُ الْوحِيدُ: أينَ يذْهبُ هَذا الْغرام؟

و تشْـتهيني الأحـلام. أرقُـدُ في ظِلِّهـا طـائراً لَذِيـذَ المنـاقِير يُدشِّــنُ في مِعْصَــمي كــلّ العنْقــاءِ و كــلّ الرّمــاد. و كــلّ الْمساءاتِ الدافِئة، في يَناعِ الاِنْتِظار.

هــا كَفّــي الآنَ شــكلٌ مــن الوَسَــن . تُؤلّــفُ خُطُوطَهــا العشْــتارِيّةَ، فَوْضــى الْجمــال و لا تُــؤلِّفني... إلا زَبَــداً ينْتَهِي أجْراساً مُعلّقَة على رِمالِ الْعودَةِ الْمُسْتحِيلَة.

يــا أيّهــا الْجســدُ الْعــارِي فينــا، أمْهِلْنــا...حتّــى نغْــرِفَ الْغَرْفَــةَ الْأولــى مــنْ وَصــايَا الْجبَــلِ الأوْحــد. و حتّــى تسْتويَ السّفِينَه.

أسْــكُبْنا أيّهــا الْمُنــادِي، في عــينِ الثّــرَى و الثُّريّــا حَنينــاً يُغذّي فِينا الْحنِينا...

فَهيّــا أيّتُهــا الْعــينُ لِي و يّــا أيّتُهــا الْعــيْنُ لهَــا... هيّــا إلى ضِــفافِ النّهْــرِ الْمُــرْتعِش، نَعــلّ مــنْ عطَشِــهِ التّــارِيخيّ بعْضــاً مــنْ أجْنِحَتِنــا الْمقْصُوصــة. و بعْضــاً مــن أجْنِحَــة الطّائِرِ الْمُنْتَحِرِ هُناكَ...

دَعْنا أيّها الوقتُ الْمُبلّلُ نقْتَرِفُ في جنَازَةِ الطّائِرِ حكمةَ انْكِسارِنا عَلى معارجِ الأقْحوانِ الْبريّ. و حِكمةَ جلالِنا حِينَ نموتُ ألفَ مِيتَة مُكفّنَةٍ بِوصَايا الْغَمام و مدنّفَة في عطشِ الْيمام.

دعْنا نسْألُ كتابَ الْأحْلام: هل سننامُ نوْمَتنا الْأبدية أَمْ سينامُ في نومَتِنا الْمَنام؟

واهاً لَها منْ نومَةٍ واها.
الثّرى دلّاها.
و العشْقُ سلّاها
أسرَتْنِي الْآهُ
حتّى ربّيتُ الْآها.
بينَ أضلُعي أرْقُبُ الزّبَى
و الزّبى جاوزَ مُسْتواهَا.
فقلْ لِي أيّها الأسيرُ في حِذائِها
هل أنا جديرٌ بالْمشْيِ في ظِلالِها ؟
أمِ الْمسِيرُ إليها

هوَ الظّلُّ لَها ؟
أمِ الْخطْوُ مكتُوبٌ صَدَفاتٍ
في عينِ مَحارِها ؟
أمِ الْمحَارُ هيئَةٌ لَها ؟
أم هيَ الْهيْئاتُ كلُّها ؟
و هلْ أنَا صِفةٌ منْ صِفاتِها ؟
أمِ الصّفاتُ جلّتْ
على بصَرِي الْأعْشَى ،
حتّى صفتْ لَها الصّفاتُ وحْدَها ؟
وَ هل بَعْضٌ مِنْها
ينزِلُ في اتّجاهِ الْأرْض حيثُ أنا ،
مُمْسِكاً بِبَعْضِها ؟
و هلْ دشّنتْ في يومٍ غابرٍ
جبّتِي الشّعْثاءَ و الْمُغْبَرّة ؟
أمْ تارِيخُ الجلاءِ و الْجلال
كانَ و انْتَهَى ؟

أَلَا لَيْتَـي تُـرابٌ. و هْـيَ الْبقـاءُ و النّقـاءُ، و الصّـفاءُ و الغِنـاءُ
و الْغــدُ الْمُسْــتحيلُ، يخْشــاهُ الْمعنــى و التّأويــلُ... ألا

لَيْتَنـي أنـا الجـدْبُ و الْعَويـلُ، وَ هْـيَ الخصْـبُ و القَمْـحُ والظّـلُّ الظّلِيـل و التّنْزِيـلُ. هِـيَ احْتـراقُ الظّـلامِ، في كفّـي و في كتِفي، و هِيَ الْمسِيرُ الْجليل.

...

الطقس الخامس و الثلاثون

جسدي المؤقّت

...

عِشْتُ طَويلاً، بِعُمْرٍ قَدِيمٍ لا أضمّ الْموْجَ إلى صَدْرِي إلا إذا كانَ الْموجُ عارِيا.

لَمْ تَكُ شَلّالاتُ الْمَساءاتِ الْمخْمَلِيّة تُحِبُّ جَسَدِي الْمُؤَقّت. أو تُغْرِي فِي عَيْنِي الْمعْدِنِيّةِ صِفَةَ الْعَومِ والْعدم فِي احْتِمالاتِ الْجمال...

لا أسْألُ عَقْلَ الرّيحِ الْبارِدَة عنْ سُرْعَةِ الْأنْثَى الْعابِرَة قَارّةَ الرّوحِ الْهارِبَةِ فِي جُغْرافِيا الْوَسامَة.

كنْـتُ طِفْـلاً صَـغِيراً مُـدجّجاً بالبكـاء و بالنشـيد. لا أرْضَـى حتّـى تَهَبَنِـي سـيّدَةُ الضّـوْءِ أقْواسـاً مـنْ رَيـاحِينَ مؤجّلَـة، وَ أجْراسـاً مـنْ يَواقِيـتَ مُعطّلَـة، رَاوَدَهـا الْـوَتَرُ الطّـائِشُ فِي مَعــازِيفَ خرْســاء، تزْتَــدِي الــرِّيحَ إيقاعــاتٍ غَجرِيّــة، وتُمْسِـكُ النّـارَ مقَامَـاتٍ في لحْـنِ الْوصْـل و فِـي وصْـلِ اللّحْن...

وَ كنْـتُ ذاكَ الْبُـرْجَ الْبَعِيـد، مُسَـيّجاً بِمهـاراتِ الْحـرام. لا يَلْمَسُــني النّقِــيض و تَحْتَفِــي بِطقْسِــي النّــاري فِكْــرَةٌ رطْبَــة، تُشْــعِلُ نارَهــا الْبــارِدة، ثــمّ تُــراقِصُ مُفْرَداتِــي الْعَنِيدة.

تَدُوسـانِ مَعـاً عَلـى اشْـتِعالِ جمْـرٍ إضـافِيّ وَ تَبْـتَهِلانِ فِي اتّجـاهِ الْقُرْبـانِ الْمَسْـجِيّ هُنـاكَ، فِي صَـوْتِي وَ فِي مَـوْتِي... مُخْتَصَرِيْنِ فِي حفْنَةِ دمٍ بارِدٍ وَ طافِحٍ بِالْفَراغ.

فَيــا أيّتُهــا السّــماءُ، دُلّينِــي عَلــى حِكايَــةِ الْمُوسِــيقَى الْخضْــراء .أعــلّ مــنْ إيقاعَاتِهــا السّــاخِنَةِ كُــؤُوسَ النّهــار وَدُرُوسَ الْأقْمــار. تُلَقّنُهــا سَــيّدَةُ الْمَحــار .تَفْلِــقُ رَأْسِــي

قَمَــرِيْن: واحِــدٌ يُولَــدُ فـي بُؤْبُــؤِ الظّــلامِ، وَ ثــانٍ يَعْشَــقُ الظّهِيــرَة. و يُشْــرِقانِ معــاً فِي مِهْرجــانِ الضّــفِيرَة. و عِنْــد الضّفِيرَةِ الْعَوْسَجيِّة ينْتَهِي الْكلام.

...

الطقس السادس و الثلاثون

جمرٌ معانِد

...

أبحــثُ عــنْ نايــاتٍ جرِيحــة، لا تَخْــرُجُ مــنَ الْقصــب. لهَــا أجْنِحــةٌ قُــدَّتْ مِــنْ سَــما... عَزْفُهــا يفــرّ مــنَ الْغابــاتِ ويرْكضُ بأرْجلٍ منْ لَهبِ.

...

وفي رفَّةِ النّارِ تدْعوني ضاحِكةً إلى مأدبَةِ الصّخبِ

...

تقــول لي: أنــا لا أنْتَهــي... أقــولُ: أنَــا الْمبْتَــدِي فِي حانــاتِ الشّفاهِ الْغلِيظَة و فِي نشْواتِ الرّجالِ النّجُبِ.

...

تُرْسِــلُني عيــداً غَجرِيــاً، يرْسُــمُ الْأجْــراس خــارِجَ عُيــونِ الْحُـرّاس. يعجِـنُ اللّهْفَـةَ إلى جسـدِ الرّقصَـة، يفـكُّ تمـائِمَ

الْعــرائِس بطقْــسٍ يُشْــبِهُ انْكِســارَ جــنٍّ شــقيٍّ، يُغــازِلُ الكَمَنْجات بِجمْرٍ معانِدٍ لفكرةِ التّعبِ.

...

أنَــا الْآنَ واحِــدٌ مــنْ صَلْصــالٍ... ينْســلُّ مــن قبْضَــةِ الطّــين إلى رُوحِ الــرّنين. أغسِــلُني في نَهْــرِ الْمرَايَــا شــاعِراً لا يَلْعــنُ الْخَطايَــا و يرْسُــمُ في الْمــدَى الْأخْضــر لوْحــاتٍ للــرّكْضِ الْعبثِيّ بِرِيشاتٍ منَ ذَهَبِ.

...

وَ حِــينَ يتْعــبُ منّــي التّعــبُ... أجُــرُّ إلى قُرْبِي لِســانَ النّهــار. أحَرِّضُــــهُ علــى مُراقَصَــــةِ خِصْــــرِها الْأهْيَــــف فِــي عــــيْنِ الشّــمْس، فِي غَيْــرِ هَمْــس و فِي غيْــرِ احْتِشــامٍ مــنْ تواطُــؤِ الْعُشُبِ.

...

هــا أنــا أسْــتَلْقِي مُمــدّداً عَلــى ظَهْــرِ الْفراشــات لِيكــونَ ظهْــرِي شــاهِدا علــى نَــزَقِ النّجــوم، و عَيْنِــي مُتْرَبَــةٌ بــدخانِ الْكوْكَبِ.

...

أنَــا الآن هُنــا أعْلِــنُ أنّ مــوْتِي لا لَــوْنَ لَــهُ إلا لــوْنُ الْفَرْحَــة بانْشِــطارِ الْبَصَــر شــطْرَيْن: واحِــدٌ في عَيْنِــي، و آخَــرُ فِي عيْنَيْكِ... تُورِفانِ ظلالاً في أراجِيحِ الشّهُبِ.

...

الطقس السابع و الثلاثون

ظلٌّ قرمزيّ

...

طائشــةٌ هــي الأقــواس. لا تخــرج مــن ظلــكِ القرمــزي. وعائبــةٌ هــي الأجــراس، تــرنّ بعيــداً عــن فرحــك، و بعيــداً عن بلاغة جسدك، و عن مجاز قدّكِ اللّوزي.

و تافهةٌ هي النوارسُ حلّقتْ في سماءٍ غيرِ سمائك...

أعــذُرِيني يــا ســيدة المقــام، إن طــاشَ يراعــي و لــم يفــرّقْ في صــوغِ روحــكِ بــين خــطِّ العبــورِ و خــطِّ الأمــام... بــين رشْفِ المقلِ و بينَ انتشاء المُدام...

أنـا فيـكِ لوحـةٌ ماسـخة الأصـباغِ. أبحـث لـي عـن تجـلٍّ يتـاخمُ جـلالَ قلبـك، حـين الأصـباغ يهجرهـا الكـلام. أبحـث عـن ليـلٍ لا يركبـه الخـوفُ، يتـدحرجُ صـاخباً في ممـرّاتِ الْهمس و يلقي السلام العابث على محيّاكِ السلام...

...

الطقس الثامن و الثلاثون

إبهامُ حوّاء

...

أتــدلّى فـي عنقــودِ عنــبٍ حبــةً وارفــةً رابِعــة. أعتنِــقُ الشـمس و الظـل معـا... و أكبـرُ في عينيهمـا قلَقـاً يملـؤه السؤال، و نزقاً يرتّبُهُ الموّال...

و حتّـى أجـلٍ مسـمّىً، ربحـتُ رِهـانَ القطـفِ. فوُلِـدتُ في إبهامِ امرأةٍ فاتِنةٍ مثل غيمة.

لهـذا اسـتوعبتُ سـريعاً لِـمَ أمشِـي مثـلَ ملِـك. و لِـمَ يتسـوّل الشـتاءُ في أثـري... و لِـمَ يتقصّـى الربيـعُ خبـري والصـيفُ يتـدحرجُ سـنابلَ مارِقـاتٍ في وتَـري... والخريـفُ

يمـلأُ موائـدي قـرابينَ أنفـاسٍ، تمـوجُ موجـاً كريمـا فـي وطَري...

هـا أنـا الآنَ صـيغةٌ خجولـةٌ مـن فاكهـةِ المـديح. أشـرب الظـل في فَنَنِـي، و أمـتصّ الشـمس في وثَنـي... و أكتمـلُ عنبـاً أحمـر في خياشـيم النّـرجس و المـاء... حـينَ المـاءُ ذاكـرةٌ بلهـاء و حـينَ الـذكرى فـي سـيرةِ الضـحكِ تستعجل الاستواء...

فيـا قلـب في روعِهـا ! كـن ثرثـارَ ضـوءٍ حـينَ الْمصـابيحُ تكـرِمُ الاسـتعارة... و كـنْ نحيبـاً، يكتـب العذوبـة حـينَ القناديـلُ تُعجِزهـا العبـارة. كـنِ ابْـنَ الإشـارة تأتيـكَ صاغرةً و حبيبةً أسماءُ البِشارة ...

...

الطقس التاسع و الثلاثون

ثلاثُ رسائل

...

كتبــتُ لهــا ثــلاث وريقــات: واحــدة بعنــوان الألــم... وعِظامي تحررها الريح.

و ثانيــة بعنــوان العــدم فيهــا الغيمــةُ تلــبس معــاطفَ المديح.

و ثالثـة بعنـوان النـدم. السـردُ فيهـا يـركضُ غريبـاً خلـف سراب الذكرى. لا يأبهُ يستريح.

و بـين الألـم و العـدم و النـدم حاصـرني الـورد. يمشـي صـلفاً، يـدوسُ في ممشـاهُ الأمـين علـى نـزقِ الشـوكِ، على حجرٍ يعقِلُ المسيرَ مثلَ تهرِيجٍ يركبهُ الذّهول.

كـلُّ الوريقـات في يـدي كانـت صـفراءَ، مثـل تـاريخ... وكانـتْ عينـي صـوراً تضـرب مواعيـدها مـع النـور. تخطـف مـن المسـاء بعـض أضـواء: واحـدٌ يـدسّ في القمـيصِ عويـلَ الضـجر، و ثـانٍ يغسـل رئـة النهـار قبـل أن يتـنفس الصـبح جديـدَ الأثـر. و ثالـثٌ يلعـبُ في مُـتْقَنِ الألمِ قبل أن يستويَ و الهباءَ طيشُ الوتر.

...

الطقس الأربعون

تابوتٌ لجسدي

...

في نظرية الاحتضار، وجدتُ جسدي ليس لي كي أصنع لي تابوتاً أؤرّخ به حالات انتصاري، و أطوي به في الغيم خرافات انتظاري...

أنا تاريخٌ من الحكي. دشّنتْني زغردةٌ شاردة. انفلتت في ثغر امرأة قد كانتْ تكون أختي... قد كانتْ تكون خالَتي... و قد كانتْ تكون أنثايَ و هْيَ قابعةٌ في الأزل.

و أنا لم أزل ذكيّاً، أبحث عن ميلاد آخر، يشبه طلقةً تطبعها في صدر الهواء ثغور الفرسان على صهوات الأمل...

و أنـا لـم أزل ذكيّـاً في مـوتي، أبحـث عـن جسـدي كـي أصـنع لي تابوتـاً، أؤرّخ فيـه حـالات انتصـاري، و أطـوي بـه في الغيم خرافات انتظاري...

فمـن يقطـف مـن ترابي وردة الـدّفن؟ و يسـقيها مرثيـات تكـون شـبيهة بغجريـات يسـدلن على أكتـافهن نهـراً مـن الشالات...

و مـن يقطـف مـن وجنتـي عوسـجة خـوفي مـن الظـلام؟ ومَـنْ تُحـوِّلُ انطـواءَ القبـر إلى نزهـةٍ في شـبّاك يطـل على البحـر الـورقي، و يمـدّ في البصـيرة عمـراً جديـداً مـن تكـرار الموج الأعزل...

و أنـا لـم أزل ذكيّـاً في بعثـي، أبحـث عـن جسـدي كـي أصـنع لي تابوتـاً أؤرّخ بـه حـالات انتصـاري، و أطـوي بـه في الغيم خرافات انتظاري...

...

الطقس الواحد و الأربعون

بحرٌ أنا

...

أنـا أحـبّ البحـر... لا لبلاغـة المـوج و مجـاز الانكسـار، و لا لبيـان الغـور و سـحرِ الزرقـة تبـوس خـدّ السـماء في انتشاء المحار.

...

أنـا أحـب البحـر... لأنـه غربـةُ المـاء، و رغبـةٌ و اشـتهاء... تحكي دفاتر الارتحال.

...

و البحـر في عينـي، مطـرٌ مُصـابٌ بلعنـة الملـح. و البحـر في عينـي مطـرٌ فقـد صـفة النّـزول، ثـم اختـار في فلسـفة النهايـات شـكل التكـوير ليابسـةٍ تعشـق الأحـلام،

تضعها في أطباق الشيطان... و تطلب من الشمس تأويلا نورانيا، يفكّ ألغاز الرغوة و أحاجي الرمل في أعراس الغواية، و طقوس الأقمار.

...

و البحرُ لي... عندما تغزل غورَهُ سيدة العزف. في كفها نجمةٌ تحاكي موجة، و تلتقيان في عينيها نشيداً غابراً في حدائق الزرقة...

...

ها أنا أبحر في نبضها بمجداف ناريّ إلى سحر الصدف و كريم الأحجار.

...

أبحر في صوتها، أبحر في صمتها... في سمتها حتى أبلغ جبين النهار.

...

أبوس خدّ الفجر ، و أنتشي في هاوية الغرق سابحاً يجهل أبجديات الغطس ،و يموت غرقا ألف ميتة. الواحدةُ منها شعاع، و الباقي عبورٌ رشيقٌ إلى جليلِ الأنوار...

...

فهرست القصائد

تقديم	5
زهر وثني	8
طواسين	10
طعم امرأة	12
تشكيل	14
دثّريني	16
عزلة الغيم	19
خطوتان شاردتان	21
إلى حيث هي تشاء	23
هي الأجدر	27
ظلال متخفية	29
حين تحبو اللغة	31
يحسبني محارا	33
كفك المنكسرة	35
تفاح المغامرة	36
الساعة الآن	38

خصلة متلبسة بالخروج	41
معلقات	43
معذرة سيدي الكميت	45
في مشيئة الشجر	47
رقصة قديمة	49
في سقوطي التاريخي	52
أركض بأعيني المستحيلة	54
رحيل المجاز	56
أحب الله	58
رأسي الفلسفية	59
حدّق في السنبلة	61
يا يوم المجاز الطويل	62
الكلمات التي تقولني	66
خارج الموسيقى	69
سبعة أجنحة	79
قبلة و قربان	81
قميرٌ مُدلّع	83
ثمالة اللحن	88
في احتراق الظلام	90

جسدي المؤقت	95
جمرٌ معاند	98
ظل قرمزي	99
إبهام حواء	100
ثلاث رسائل	102
تابوتٌ لجسدي	104
بحرٌ أنا	106

قالَتْ لِي ذاتَ همْس: ضَعْ أزْهارَكَ في سلّتَيْن، سلّةً للشّمْس، و أخْرَى سيطالُها بعْدَ حِينٍ رَنِينُ الرّمْس .

قلتُ : ما هذا الْفألُ ؟ وَ هلْ تقْرَئِينَ كِتابِي فِي أزْمِنَةِ الْإِنْبِثاقِ أمْ هُوَ طَيْفٌ منَ الْمَسَ ؟

قالَتْ : منْ يعْشَقُ الْفراشَةَ فِي دِينِ الْياسمِينِ لا يأبَهُ لِشكْلِ الْموتِ...أيموتُ على متْنِ الْعَسَلِ. أمْ ينْتَهِي على ذَبْحِ الرّقْص .

قلتُ : فهلْ منْ خِيارٍ يرْفَعُنِي فِي صَبِيبِ الْحُلمِ ؟ يمْنَحُ جسدِي وجودَيْن واحِدٌ لِي و آخَرُ لَكِ...فِي شُرُودِ الْعُرْس؟

قالَتْ : ضُمَّ طاءَ طِينَتِكَ إلى سِينِ سُؤالِكَ تَجِد صِفَتَك. تُلْغِي فِي رَوْعِكَ حالَةَ اللّبْس .

قُلتُ : هِيَ ذِي قِصّةُ الطّواسِين. صاغَها الْواصِلُ قَبْلاً بِدَمِ الشّهادَةِ قَدِيماً بِالْأَمْس .